# غزوة حُنين دروس وعبر

أمير بن محمد المدري

سلسلة غزوات النبي المصطفى دروس وعبر(٥)



بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا، ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، بلّغ الرسالة، وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة، وجاهد في سبيل ربه حقّ الجهاد، ولم يترك شيئاً مما أُمر به إلاّ بلّغه، فتح الله به أعيناً عُمياً، وآذانا صُماً، وقلوباً غُلفاً، وهدى الناس مِن الضلالة، ونجّاهم مِن الجهالة، وبصّرهم مِن العمى، وأخرجهم مِن الظلمات إلى النور، وهداهم بإذن ربه إلى صراط مستقيم. اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ونبيّك محمد، وعلى آله وصحبه، ومَن اقتفى أثره واهتدى بهداه.

وبعد.

ما أجمل أن نداوي الجراح المكلومة الغائرة بالسيرة العطرة المعطرة لرسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه،فسيرته بلسم للجراح وملاذ للخائف وحصْن للراجي ، والعوذ عندما تدلهم المصائب والأزمات.

و هذه الأمة أمة منصورة من ربها، موعودة بالتمكين والاستخلاف في الأرض بوعد الحق الذي لا يخلف، في آيات كثيرة من القرآن، كما قال الله تعالى: ﴿**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**﴾[1]. وقال: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون**﴾[2]. وقال: ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**﴾[3]. وقال: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من**

---

١ ) [الروم: ٤٧]

٢ ) [الصافات: ١٧١ - ١٧٣]

٣ ) [غافر: ٥١]

**قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾**[٤] .

ومهما تكالب أعداؤها، وأحكموا كيدهم، وأجمعوا أمرهم؛ لإطفاء نور الحق والهدى فلن يحظوا بذلك، وهيهات وقد قال الله تعالى: ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾[٥] .

وقد بشرّنا نبينا - ^ - أن هذا الدين سينتشر في أنحاء الأرض قاطبة حتى يدخل كل بيت في المعمورة كما في حديث تميم الداري t قال: سمعت رسول الله - ^ - يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيزا أو بذل ذليلا، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر**» .

---

٤ ) [النور: ٥٥]

٥ ) [التوبة: ٣٢ - ٣٣]

إن هذه النصوص المبشرة جزء من عقيدتنا التي يجب أن نؤمن بها إيمانا تاما لا تخالطه الشكوك ولا تساوره الظنون مهما طال ليل المحنة؛ فإن وعد الله آت عما قريب ﴿**ألا إن نصر الله قريب**﴾[٦]
.

بل إن هذا اليقين الكامل بنصر الله هو أحد عوامل النصر المهمة، ولذا ترى النبي - ^ - حينما تشتد الكروب وتلم الخطوب يُذكّر بهذه الحقيقة؛ فذلك يبعث الأمل ويحيى الهمم، ويجدد العزم على العمل، كما فعل في غزوة الأحزاب وقد رمتهم العرب عن قوس واحدة؛ فقد بشر أصحابه بفتح بلاد فارس والروم، كما بشر في حادثة الهجرة وهو مطارد خائف بفتح بلاد فارس، وكما طمأن صاحبه الصديق ــ t ــ وهما في الغار بقوله: ﴿**لا تحزن إن الله معنا**﴾[٧] .

إن المؤمنين حينما تحيط بهم الملمات لا تزيدهم إلا ثباتا ويقينا وتسليما: ﴿**ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله**

---

٦ ) [البقرة: ٢١٤]

٧ ) [التوبة: ٤٠]

**ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾**[٨]

[الأحزاب: ٢٢] .

أما المنافقون والذين في قلوبهم مرض فما أسرع ما يتزلزلون ويشكون بصدق وعد الله عند أدنى محنة أو نازلة: ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا**﴾ .

غير أن النصر الذي وعِدت به هذه الأمة لا يناله إلا من أدّى ثمنه وقام بأعبائه؛ فإذا وجدت أسبابه وانتفت موانعه تحقق النصر بإذن الله، وإن تخلف منها شيء فربما تخلف النصر، ولله عاقبة الأمور.

فالمتأمل في غزواته ^ يجد أنها مصباحاً يضيء للأمة لتعرف عوامل النصر وعوامل الهزيمة ،وتتعلم الدروس والعبر التي تملأ أفراد الأمة ثقة بنصر الله وحبا لنبيها ^ .

وهانحن ضمن السلسلة المباركة:

**(غزوات النبي المصطفى دروس وعبر)**

---

٨ ) [الأحزاب: ١٢]

(نستشف هذه الدروس والعبر ونتأمل مواقفه ^ ومواقف صحابته الكرام نقف مع الغزوة الخامسة ((**غزوة حنين**))

أسأل الله أن ينفع بها كل موحد إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**الكاتب**

**اليمن - عمران**

**١٤٢٧ هـ**

# غزوة حنين

**` غزوة حنين :**

هي الغزوة التي تبين فيها أن القوة من عند الله تبارك وتعالى، وأنه هو الذي يهدي وينصر، ويسدد فلا قوة تأتي من غيره جل جلاله .

**` غزوة حنين :**

فيها الدرس العظيم، في الرضا عن الله، والاستبشار بنصر الله، وإعلاء جنده وحزبه، فيها الفأل الحسن مقرونًا بفعل السبب وبذل الوسع.

**` غزوة حنين :**

فيها الدرس العظيم في صدق التوكل على الله، والإيمان بموعوده وفتحه.

**` غزوة حنين :**

إذا كانت غزوة بدر الكبرى هي أولى معارك الإسلام مع مشركي العرب، وبها كُسرَت حدتهم وقلت هيبتهم، فقد كانت غزوة حنين وما تلاها من غزو أهل الطائف هي آخر تلك المعارك، وبها استُفرِغت قوى أولئك المشركين،

واستُنفِدت سهامهم، وأُذل جمعهم حتى لم يجدوا بداً من الدخول في دين الله، كما يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله.[٩]

## ` غزوة حنين :

كانت غزوة حنين في العاشر من شوال من العام الثامن للهجرة منصرفَ النبي - ^ - من مكة بعد أن منَّ الله عليه بفتحها، وقد انصرف رسول الله من مكة لست خلت من شوال، وكان وصوله إلى حنين في العاشر منه[١٠]

## ` غزوة حنين :

دارت هذه الغزوة في موضع يقال له حنين، وهو واد إلى جنب ذي المجاز بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات[١١].

## ` غزوة حنين :

كان سبب هذه الغزوة أن مالكاً بن عوف النضري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون، واجتمعت إليه

---

٩ ) [زاد المعاد: (٤٧٩/٣)]

١٠ ) .فتح الباري: (٢٧/٨)

١١ ) [المصدر السابق: (٢٧/٨)]

مضر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وقصدوا محاربة المسلمين، فبلغ ذلك النبي - ^ - فخرج إليهم.[١٢]

## ` غزوة حنين :

إذا كانت وقعة بدر قررت للمسلمين أن القلة لا تضرهم شيئاً في جنب كثرة أعدائهم إذا كانوا صابرين متقين، فإن غزوة حنين قد قررت للمسلمين أن الكثرة أيضاً لا تفيدهم إذا لم يكونوا صابرين ومتقين)[١٣]

---

١٢ ) ·افتح الباري (٢٧/٨)، وزاد المعاد (٣/٤٦٥·

١٣ ) [فقه السيرة للبوطي (ص: ٤٢٤)

# دروس وعبر من غزوة حنين

## ١-القوة لله جميعا:

لا عبرة بالكثرة فالنصر من عند الله عز وجل، أكبر جيش جمعه الرسول ^ جيش حنين كانوا اثني عشر ألفا، فلما رآهم أبو بكر الكتيبة تتدفق بعد الكتيبة، قال: " لا نهزم اليوم من قلة " والمسلمون بشر أتاهم ضعف واتكلوا على قوتهم المادية، فأراد الله أن يلقنهم درس عقيدة لا ينسونه، وهو أن القوة من عند الله، وأن النصر من عند الواحد الأحد، فيقول الله عز وجل:

﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة** ﴾[١٤] يقول: اذكروا كم نصركم الله في مواطن كثيرة.

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم في الموطن الخشن

---

١٤ ) [التوبة:٢٥]

﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم** ﴾[١٥] فهنا درس لكل إنسان ألا يغتر بقوته وألا يعتمد على حوله وذكائه وفطنته.

قال ابن القيم في كلام معناه: فوض الأمر إلى الله عز وجل، وأعلن عجزك، فإن أقرب العباد من الله الذين يعلنون الانكسار بين يديه.

فأقرب العباد إلى الله أشدهم انكساراً إليه، وأقربهم إلى النصر أشدهم تواضعاً لله، وكلما ذل العبد وتواضع لله رفعه الله، وكلما تكبر، قال الله: اخسأ فلن تعدو قدرك، وعزتي وجلالي لا أرفعك أبدا.

فكان هذا الدرس في العقيدة: أن القوة من عنده تبارك وتعالى، وأنه هو الذي يهدي وينصر، ويسدد فلا قوة تأتي من غيره مهما أجلبوا بخيل ورجل وقوى واتصلوا بأمور فإنها كبيت العنكبوت: ﴿ **وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون** ﴾.[١٦]

---

١٥ ) [التوبة:٢٥]

١٦ ) [العنكبوت:٤١].

### ٢- إرسال العيون لطلب أخبار العدو:

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أرسل ابن أبي حدرد وقال: اجلس بينهم وخذ أخبارهم وائتني بأعلامهم -هذا قبل المعركة- فجلس بينهم في الليل، فسمع مالك بن عوف النصري يقول: إذا أتينا غداً فصبحوهم واضربوهم ضربة رجل واحد، فأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام بذلك ، فإرسال العين لصالح المسلمين لا بالإضرار بالمسلمين، لكن لتقصي الحقائق ولنصرة الإسلام، ولتأييد كتاب الله ولرفعة لا إله إلا الله لا بأس به.

### ٣- أخذ السلاح من المشرك :

فالرسول عليه الصلاة السلام لما أراد حنيناً قال لـــ صفوان بن أمية وقد كان طلب مهلة أربعة أشهر حتى يفكر في دخول الإسلام- قال: « **يا أبا وهب : أتعيرنا مائة درع وسلاحها؟ قال: غصباً يا محمد، قال: بل عارية مضمونة** » فأخذها [8]

عارية مضمونة، فلا بأس باستعارة السلاح من المشرك، فلو قاتل المسلمين كافر فلا بأس أن يأخذوا من كافر آخر سلاحاً آخر يقاتلون به هذا الكافر، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام فعله

سواءً بشراء، أو عارية، أو على مصالح مشتركة يتبادلها الفريقان فلا بأس بذلك.

هذا وقد وجدت للشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - كلاماً يفيد أنه لا يرى شراء السلاح من دول الكفر الآن؛ فإنه يقول في معرض دعوتـــه للاهتمام بالتصفية والتربية وإنكاره على دعاة الجهاد في هذه الأيام: "لو أن هناك جهاداً قام بين المسلمين وبين الكفار، فهؤلاء المسلمون سوف لا يستطيعون أن يتابعوا إمداد جيوشهم بالأسلحة اللازمة لهم إلا بالشراء من أعدائهم، وهل يكون نصر وجهاد بشراء الأسلحة من أعداء المسلمين؟"[١٧]

، وكأنه - رحمه الله - يقول بأنه لا يجوز شراء السلاح من الكفار إلا بشروط لا تتوافر في عصرنا فقد سئل بعد ذلك عن الفرق بين شراء السلاح من الكفار الآن وبين استعارة النبي - ^ - السلاح من صفوان فقال: "الفرق كبير.. أولاً هو فرد، وثانياً هو مطمئن إليه، ثم رسول الله - ^ - حينما طلب كان

---

١٧ ) "([٢٣] - [23] فتاوى الشيخ الألباني ومقارنتها بفتاوى العلماء لعكاشة عبد المنان (ص: ٣٠٠) .

هو أقوى منه، اليوم الأمر معكوس تماماً؛ فالمسلمون حكاماً، فضلاً عمن هم دونـــهم هم أضعف من أعدائهم الذين يستوردون الأسلحة منهم، فشتان ما بين هذا وذاك"[١٨]

غير أن من الشروط المهمة في هذا المجال أن لا يؤدي شراء السلاح من الكفار إلى تنازل المسلمين عن شيء من عقيدتـــهم ودينـــهم، فأمر العقيدة أعلى من كل اعتبار، وبكل حال فهذا الأمر هو من أمور السياسة الشرعية التي تخضع لقياس المصالح والمفاسد، ومعرفة الأنسب في كل حين، ونحن اليوم نرى أن أمم الكفر ليست بدرجة واحدة في عدائها للمسلمين فمنـــهم من يعلن الحرب على المسلمين ومنهم من ليس كذلك، فلا بأس بالشراء من غير المحاربين لقتال المحاربين، ويمكن للمسلمين أن يستغلوا بعض التناقضات بين دول الكفر في شراء السلاح من بعضها لمحاربة البعض الآخر، بل على المسلمين أن يستغلوا ما قد يحدث في بعض بلاد الكفر من الأزمات المالية لمحاولة شراء السلاح بل وتقنيات تصنيعه منهم، كما هو حادث في روسيا الآن، وقد كان المجاهدون في الشيشان - وربما لا يزالون -

---

١٨ ) المصدر السابق

يشترون السلاح من الجنود الروس بأسعار زهيدة ثم يقاتلونـــهم به .

وهذا كله لا يعني رضانا بحال المسلمين وتخلفهم وعدم قدرتـــهم على صنع ما يحتاجونه من السلاح، بل الواجب عليهم السعي الحثيث في امتلاك أدوات التصنيع والعمل على الاكتفاء الذاتي، وإلى أن يتحقق ذلك فليس هناك مانع من شرائهم السلاح من الكافرين والله - تعالى - أعلم .

## ٤- ضمان العارية إذا تلفت:

فإن صفوان عندما طلب منه النبي ^ سلاحاً قال : غصباً يا محمد؟ قال: «إ **بل عارية مضمونة** » أي إذا تلفت هذه الدروع والسلاح نضمنها لك، فلما تلفت بعض السيوف وتكسرت في أيدي الأنصار ،فالصحابة تثلمت سيوفهم وثلموا سيوف صفوان بن أمية ، فأتى يقلب السيوف وهي مثلمة فيقول: للرسول ^ : أهذا سلاحي؟ فيقول ^ : نضمنها لك، قال: لا لقد أسلمت والإسلام خير لي لا آخذ منها شيئا، فرزقه الله الإسلام، وهو

خير من الدروع والسيوف، وقبل المعركة كان صفوان وراء الزبير بن العوام .

### ٥- مشابهة هذه الأمة الأمم السابقة:

هذا الحديث علّق عليه ابن تيمية في الرسائل والمسائل يقول: لما نزل رسول الله ^ في حنين نزل الناس في الظهيرة ومعهم سيوفهم وسلاحهم -وهذا الحديث عند أبي داود من حديث أبي واقد الليثي - قالوا: يا رسول الله! إن للمشركين ذات أنواط - أي: ذات معاليق يعلقون فيها سلاحهم- فاجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؛ فقال عليه الصلاة والسلام: «**الله أكبر! إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة** ».

فيقول ابن تيمية : "سوف يقع في هذه الأمة ما وقع في اليهود والنصارى؛ فإن علماءنا إذا فسدوا كان فيهم شبه من اليهود - نعوذ بالله من ذلك- فإن اليهود تعلموا العلم و لم يعملوا به؛ فختم الله على قلوبهم ولعنهم وغضب عليهم، قال جل ذكره:

﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية** ﴾[١٩]
ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى؛ فإنهم يعبدون الله بلا علم، لا يتفقهون في الدين؛ فلهم صلاة وصيام وذكر لكن على ضلالة: ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** ﴾[٢٠] .

يقول ابن تيمية : وسوف يقع في هذه الأمة ما وقع بين اليهود والنصارى لهذا الحديث؛ ولقوله تعالى: ﴿ **وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء** ﴾[٢١] قال ابن تيمية : "سوف تأتي طوائف وأحزاب في هذه الأمة تقول: ليست الطائفة الأخرى على شيء ونحن على الحق، وتقول الأخرى: لستم على شيء ونحن على الحق فهي السنن".

## ٦-التكبير عند التعجب والاستغراب:

١٩ ) [المائدة:١٣]

٢٠ ) [الحديد:٢٧]

٢١ ) [البقرة:١١٣]

فالرسول ^ لما قالوا: اجعل لنا ذات أنواط قال: الله أكبر!
وهذه من أحسن الكلمات التي تقال في النوادي والمحافل، فنحن لا نعرف التصفيق وليس في ديننا تصفيق، ولا يصفق إلا اللاهون اللاغون إذا أعجبوا بمقولة أو كلمة.
فعلى المسلمين أن يكبروا، فإن التصفيق والمكاء والتصدية من علامات الجاهلية ومن شعائر الوثنية ، والله ذكر المشركين وطوافهم بالبيت فقال: ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية** ﴾[٢٢] أي: صفيرا وتصفيقا، فذم التصفيق سبحانه وتعالى، وقال ابن مسعود : " كان أصحاب الرسول ^ إذا أعجبهم شيء كبروا " وربما كبر عليه الصلاة والسلام فكبروا خلفه، ولذلك يقول: « **أترضون أن تكونوا ثلث الجنة؟ قالوا: بلى، قال: ألا ترضون أن تكونوا نصف الجنة؟ قالوا: بلى، قال: فإنكم ثلثا أهل الجنة، فكبروا جميعا** ».

---

٢٢ ) [الأنفال:٣٥]

فالتكبير مطلوب عند التعجب والاستغراب، أو من حدث أو كلمة حماسية، أو من بيت أو قصة، فسنتنا أن نكبر وألا نتشبه بأهل الكتاب الذين أضلهم الله على علم وطبع على قلوبهم.

## ٧- لا رجعة للوثنية:

خرج مع رسول الله ^ إلى حنين بعض حديثي العهد بالجاهلية، وكانت لبعض القبائل شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يأتونها كل سنة، فيعلقون أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يوما، وبينما هم يسيرون مع رسول الله ^ إذ وقع بصرهم على الشجرة، فتحلبت أفواههم على أعياد الجاهلية التي هجروها، ومشاهدها التي طال عهدهم بها، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا (ذات أنواط) كما لهم (ذات أنواط)، فقال رسول الله ^ : «**الله أكبر! قلتم -والذي نفس محمد بيده- كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ**

آلِهَةٌ قال إنكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ لتركبن سنن من كان **قبلكم**»(٢٣).

وهذا يعبر عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص رغم إسلامهم،ولكن النبي ^ أوضح لهم ما في طلبهم من معاني الشرك، وحذرهم من ذلك، ولم يعاقبهم أو يعنفهم؛ لعلمه بحداثة عهدهم بالإسلام(٢٤)، وقد سمح لهم الرسول ^ بالمشاركة في الجهاد؛ لأنه لا يشترط فيمن يخرج للجهاد أن يكون قد صحح اعتقاده تماما من غبش الجاهلية، وإنما الجهاد عمل صالح يثاب عليه فاعله، وإن قصر في بعض أمور الدين الأخرى، بل الجهاد مدرسة تربوية تعليمية يتعلم فيه المجاهدون كثيرًا من العقائد والأحكام والأخلاق؛ وذلك لما يتضمنه من

---

(٢٣) انظر: السيرة النبوية للندوي ص٣٤٩، سنن الترمذي، الفتن (٤/٤٧٥) رقم ٢١٨٠.

(٢٤) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/٤٩٧). (٣) انظر: التاريخ الإسـلامي للحميـدي (٨/٦٢).

السفر وكثرة اللقاءات التي يحصل فيها تجاذب الأحاديث وتلاقح الأفكار(٢٥).

## ٨- الحراسة في الغزو:

إن الرسول عليه الصلاة والسلام إذا كان في الأسفار أو الغزو جعل حارساً يحرس الناس، وما كان يعطيه راتباً عليه الصلاة والسلام، بل كان يعدهم بالجنة، جنة عرضها السماوات والأرض، فكانوا يتسارعون إلى هذا، كما فعل حذيفة في الليلة الظلماء عند أهل الأحزاب، وضمن له ^ الجنة.

وكما حرس بلال بن رباح المسلمين في غزوة من الغزوات فقال له ^ : «**يا بلال ! ارمق لنا فجر هذه الليلة**»، فقام بلال فرمق من أول الليل، فلما قرب الفجر صلى الليل ما شاء الله، ثم جلس برمحه عند الناقة، فاعتمد عليها فنام، فلما نام جاء الفجر، ثم طلعت الشمس حتى أصاب الناس حر الشمس، فاستيقظ عمر t أول الناس، فاستحيا عمر أن يذهب إلى رسول الله ^

ويقول: قم صل، ومن عمر حتى يوقظ رسول الله ^ ؟! وله ذلك فإنها من المصالح والفوائد لكنه استحيا.

فأتى بجانب أذن الرسول عليه الصلاة والسلام، وقال: الله أكبر، الله أكبر، فاستيقظ عليه الصلاة والسلام وقد استيقظ أكثر الناس وأصابهم من الخوف ما الله به عليم، تذكروا أنهم ما صلوا، وأن الشمس قد طلعت وارتفعت، فقال ^ : **لا عليكم**، ثم أمرهم أن يقوموا، وقال يا بلال : أين رمقك الفجر هذه الليلة، فقال بلال : أخذ بنفسي يا رسول الله ما أخذ بأنفسكم، فتبسم عليه الصلاة والسلام.

يقول: أنتم وقعتم فيما وقعت أنا فيه، فلماذا تعاتبونني على هذا؟ فصلى عليه الصلاة والسلام فصلوا، والشاهد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يجعل حارساً من الصحابة في الغزو وفي الأسفار لفوائد:

١- أن يوقظ المصلي والموتر في الليل.

٢- أن يخبر الناس بهجوم طارئ على جيشهم وعلى متاعهم وعلى أهلهم.

٣- تدريب الرسول عليه الصلاة والسلام أصحابه على هذا العمل الجهادي الشاق.

٤- أن يجعل أجورا لأهل هذه الأعمال ليتباروا في عمل الآخرة وليتقدموا عند الله.

قال عمار بن ياسر : خرجنا مع رسول الله ^ ، قال: فلما أمسينا ذات ليلة، قال: من يحرسنا هذه الليلة؟ فسكتنا، فقال: ليقم رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار، قال: فقمت، وقام عباد بن بشر t وعن عمار ، الشاب الصادق الذي قتل يوم صفين ضرب على وجهه حتى سقط لحم وجهه من كثرة السيوف، ولما رآه الصحابة قالوا: نشهد أنك عند الله من الشهداء.

فبدأ عباد بالحراسة ثم قام يصلي، فبدأ يقرأ في سورة الكهف، فأخذ الأعداء ينظرون إليه وهو حارس يقرأ في الليل، وهم لا يعرفون الصلاة ولا القراءة فأخذوا يرمونه بالسهام، وما أراد أن يقطع القراءة، فأخذ كلما انغمس السهم في جسمه يخرجه وينزله في الأرض، ويستمر في القراءة، وكلما أتى السهم الآخر أخرجه ودماؤه تنصب من جسمه، وأتى السهم الآخر ويخرجه، فلما

غلبته الدماء خفف في الصلاة، وقام وزحف إلى عمار ، وقال: والله الذي لا إله إلا هو لولا أن أقتل فتفتح ثغرة على رسول الله ^ وعلى المسلمين ما ختمت هذه الصلاة حتى أتم سورة الكهف، فقال عمار : رحمك الله، ألا كنت أيقظتني؟! فأخبره، فقام عمار t وأدركوا هذا، فأيقظوا الرسول عليه الصلاة والسلام، وهذا يوضح لنا كيفية حراسة الصحابة للرسول عليه الصلاة والسلام وللمسلمين.

وكان حارسه عليه الصلاة والسلام ربما حرسه عند باب بيته قبل أن يترل الله تعالى: ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾[٢٦] يقول أنس : رجعنا مع رسول الله ^ من خيبر فلما اقتربنا من المدينة دخل ^ بيتا له -أي خيمة- قال: فسمعته بالليل يقول: « **ليت رجلا صالحا يحرسنا هذه الليلة** » قال: فأتى سعد بن أبي وقاص فسمع من بعض الناس أن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: « **ليت رجلا صالحا يحرسنا هذه الليلة** » فتوضأ سعد بن أبي وقاص ولبس سلاحه وأخذ سيفه ووقف عند باب الخيمة من

---

٢٦ ) [المائدة:٦٧]

صلاة العشاء إلى صلاة الفجر، فلما علم ^ بـــ سعد قال: « **اللهم اغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** » فكان من الحراس الصادقين.

## ٩- التوكل لا ينافي العمل بالأسباب:

من دروس هذه الغزوة المباركة أن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ فقد كان رسول الله - ^ - أعظم الخلق توكلاً على الله - تعالى -، ومع ذلك لم يكن يلقى عدوه إلا وقد جهز جيشه بكل ما يستطيع من آلة الحرب وعدة السلاح، حتى إنه استعار أدراعاً من صفوان بن أمية كما ذكرنا آنفا ، وكان يومئذ كافراً، وقد كان السلف رضوان الله عليهم يعون تلك الحقيقة جيداً، فكانوا لا يألون جهداً في الأخذ بالأسباب ثم يتوكلون بعد ذلك على مسبب الأسباب، ولكن تطاول الإعصار، وغلبة الجهل بحقيقة الدين قد أدخل في أذهان كثير من مدعي التدين أن أخذهم بالأسباب ينافي حقيقة التوحيد لأنه يقدح في تمام توكلهم على الله، ولذا ذكر القرطبي رحمه عند

حديثه عن قصة موسى مع الخضر أن من فوائدها اتخاذ الزاد في الأسفار، قال: "وهو رد على الصوفية الجهلة الأغمار، الذين يقتحمون المهامه والقفار، زعماً منهم أن ذلك هو التوكل على الله الواحد القهار، هذا موسى نبي الله وكليمه من أهل الأرض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد، وفي صحيح البخاري: أن ناسا من أهل اليمن كانوا، يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالى : ﴿**وتزودوا إن خير الزاد التقوى**﴾[٢٧]

ومما يروي في سيرة الشيخ محمد مصطفى المراغي - شيخ الأزهر السابق- أنه رأى حين كان في السودان رجلاً يهم بدخول غابة مليئة بالوحوش المفترسة لقطع شجر أو نحوه، فلما سأله عن ما أعده من سلاح يواجه به وحوش الغاب، قال له: إن معي حرزاً فيه سورة ياسين، وهنا ضربه الشيخ بعصا كانت معه وقال له: إن الذي أنزلت عليه سورة ياسين لم يكن يدخل حرباً إلا وقد

---

٢٧ ) "( تفسير القرطبي: (١٣/١١)

جهز نفسه بما يستطيع من أنواع السلاح، وأنت تريد أن تدخل على الوحوش بحرز فيه سورة ياسين؟ .!

## ١٠- الالتفات في الصلاة للحاجة:

فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما أرسل ابن أبي حدرد وقيل أنيس بن أبي مرثد أخذ ^ يصلي الفجر وهو يلتفت هكذا في الشعب لينظر هل يأتيه الخبر أو لا ويخفف الصلاة.
قال أهل العلم: للمسلم إذا كانت حاجة أن يلتفت ولكن لا يجعلها عادة، فالرسول عليه الصلاة والسلام فتح الباب وهو في الصلاة، وحمل أمامة بنت زينب في الصلاة، وتناول بعض الأمور وهو في الصلاة، والتفت هنا إلى طليعة القوم للحاجة، وهذا الحديث في سنن أبي داود بسند حسن عن سهل بن الحنظلية ، قال: أرسل ^ يوم حنين طليعة القوم، فأخذ يلتفت إليه في الصلاة وينظر إليه بين شقق الشعب.

## ١١- الإعجاب بالكثرة يحجب نصر الله:

الإعجاب بالكثرة حجب عن المسلمين النصر في بداية المعركة، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾[٢٨].

وقد نبه إلى هذا رسول الله ^ حينما أوضح أنه لا حول ولا قوة إلا بالله فيقول: «**اللهم بك أحول وبك أصول، وبك أقاتل**»(٢٩).

وهكذا أخذ الرسول ^ يراقب المسلمين ويقوِّم ما يظهر من انحرافات في التصور والسلوك، حتى في أخطر ظروف المواجهة مع خصومه العتاة(٣٠).

---

٢٨ ) [التوبة: ٢٥]

(٢٩) سنن الدارمي (١٣٥/٢)، المسند للإمام أحمد (٣٣٣/٤).

(٣٠) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة للعمري، ص١٩٩.

وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في بداية غزوة حنين وفرار معظم المسلمين في ميدان المعركة؛ لأنهم فوجئوا بما لم يتوقعوه، فإن رسول الله ^ لم يعنف أحدا ممن فرَّ عنه، حتى حينما طالبه بعض المسلمين بأن يقتل الطلقاء لأنهم فروا، لم يوافق على هذا(٣١).

## ١٢- الغنائم وسيلة لتأليف القلوب:

رأى ^ أن يتألف الطلقاء والأعراب بالغنائم تأليفًا لقلوبهم لحداثة عهدهم بالإسلام، فأعطى لزعماء قريش وغطفان وتميم عطاء عظيمًا، إذ كانت عطية الواحد منهم مائة من الإبل، ومن هؤلاء: أبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن الفزاري، والأقرع بن حابس، ومعاوية ويزيد ابنا أبي سفيان، وقيس ابن عدي(٣٢). وكان الهدف من هذا العطاء المجزي هو تحويل قلوبهم من حب الدنيا إلى حب الإسلام، أو كما قال أنس بن مالك: إن كان

---

(٣١) المصدر نفسه، ص٢٠٤، ٢٠٥.

(٣) انظر: معين السيرة، ص٤٢١.

الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها(٣٣). وعبر عن هذا صفوان بن أمية بقوله: لقد أعطاني رسول الله ^ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ(٣٤).

وقد تأثر حدثاء الأنصار من هذا العطاء بحكم طبيعتهم البشرية، وترددت بينهم مقالة، فراعى ^ هذا الاعتراض وعمل على إزالة التوتر، وبين لهم الحكمة في تقسيم الغنائم، وخاطب الأنصار خطابًا إيمانيًّا عقليًّا عاطفيًّا وجدانيًّا، ما يملك القارئ المسلم على مر الدهور وكر العصور وتوالي الزمان إلا البكاء عندما يمر بهذا الحدث العظيم، فعندما دخل سعد على رسول الله ^ فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، و لم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء. قال: «**فأين أنت من ذلك يا**

(٣٣) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئًا قط (١٨٠٦/٤) رقم ٢٣١٢.

(٣٤) المصدر نفسه (١٨٠٦/٤) رقم ٢٣١٣.

**سعد؟»** قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: «**فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة؟»** قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا، وجاء آخرون فردَّهم، فلما اجتمعوا أتى سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ^ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «**يا معشر الأنصار، ما قالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضُلاَّلا فهداكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟»** قالوا: الله ورسوله أمنُّ وأفضل، ثم قال: «**ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟»** قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله، لله ولرسوله المن والفضل. قال: «**أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقْتم ولصُدِّقتُم: أتيتنا مكذَّبا فصدقناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدًا فآويناك، وعائلا فآسيناك. أوجدتم عليَّ يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفتُ بها قومًا ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء**(٣٥) **والبعير، وترجعون**

---

(٣٥) بالشاء: أي الشياه وهي الأغنام. (٢) دثار: هو الثوب الذي يكون فوق الشعار.

**برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة، لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا وواديًا، وسلكتْ الأنصار شعبًا وواديًا لسلكتُ شعب الأنصار وواديها، الأنصار شعار والناس دثار**(٣٦)، **اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**»، قال: فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله ^ قسمًا وحظًّا، ثم انصرف رسول الله وتفرقوا(٣٧)، وفي رواية: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»(٣٨).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام أن هذه المقالة لم تصدر من الأنصار كلهم، وإنما قالها حديثو السن منهم؛ بدليل ما ورد في الصحيحين، عن أنس بن مالك t أن ناسًا من الأنصار قالوا يوم حنين: أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فطفق

---

(٣٧) انظر: زاد المعاد (٣/٤٧٤).

(٣٨) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٢/٧٣٨) رقم ١٠٦١.

رسول الله ^ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل، فقالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، قال أنس بن مالك: فحُدِّث رسول الله ^ من قولهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم، فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ^ فقال: «**ما حديث بلغني عنكم؟**» فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا، وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسول الله! يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم، فقال رسول الله ^ : «**فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم**»(٣٩).

ويرى الإمام ابن القيم -استدلالاً بهذه الحادثة-: أنه قد يتعين على الإمام أن يتألف أعداءه لاستجلابهم إليه، ودفع شرهم عن المسلمين فيقول: الإمام نائب عن المسلمين يتصرف لمصالحهم وقيام الدين، فإن تعين ذلك -أي التأليف- للدفع عن الإسلام والذب عن حوزته واستجلاب رءوس أعدائه إليه ليأمن

(٣٩) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم (٢/٧٣٤) رقم ١٥٠٩.

المسلمون شرهم، ساغ له ذلك، بل تعين عليه، فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، بل بناء مصالح الدنيا والدين على هذين الأصلين(٤٠).

والتأليف لهذه الطائفة إنما هو من قبيل الإغراء والتشجيع في أول الأمر حتى يخالط الإيمان بشاشة القلب، ويتذوق حلاوته.

ويوضح الشيخ محمد الغزالي حقيقة هذا الأمر في مثال محسوس فيقول:... إن في الدنيا أقوامًا كثيرين يقادون إلى الحق من بطونهم لا من عقولهم، فكما تهدى الدواب إلى طريقها بحزمة برسيم تظل تمد إليه فمها، حتى تدخل حظيرتها آمنة، فكذلك هذه الأصناف من البشر تحتاج إلى فنون الإغراء حتى تستأنس بالإيمان وتهش له(٤١).

---

(٤٠) انظر: زاد المعاد (٣/٤٨٦).

(٢) انظر: فقه السيرة، ص٤٢٧.

إن النبي ^ ضرب للأنصار صورة مؤثرة: قوم يبشرون بالإيمان يقابلهم قوم يبشرون بالجِمال، وقوم يصحبهم رسول الله يقابلهم قوم يصحبهم الشاة والبعير، لقد أيقظتهم تلك الصور، وأدركوا أنهم وقعوا في خطأ ما كان لأمثالهم أن يقع فيه، فانطلقت حناجرهم بالبكاء ومآقيهم بالدموع، وألسنتهم بالرضا، وبذلك طابت نفوسهم واطمأنت قلوبهم بفضل سياسة النبي ^ الحكيمة في مخاطبة الأنصار(٤٢).

## ١٣- الصبر على جفاء الأعراب:

لقد ظهر من رسول الله ^ الكثير من الصبر على جفاء الأعراب، وطمعهم في الأموال، وحرصهم على المكاسب، فكان مثالا للمربي الذي يدرك أحوالهم، وما جبلتهم عليه بيئتهم وطبيعة حياتهم من القساوة والفظاظة والروح الفردية، فكان يبين لهم ويطمئنهم على مصالحهم ويعاملهم على قدر عقولهم، فكان بهم رحيمًا ولهم مربيًا ومصلحًا، فلم يسلك معهم مسلك ملوك عصره مع رعاياهم الذين كانوا ينحنون أمامهم أو يسجدون،

(٤٢) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة، ص٢١٩.

وكانوا دونهم محجوبين، وإذا خاطبوهم التزموا بعبارات التعظيم والإجلال، كما يفعل العبد مع ربه، أما الرسول عليه الصلاة والسلام فكان كأحدهم؛ يخاطبونه ويعاتبونه، ولا يحتجب عنهم قط، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون التأدب بحضرته ويخاطبونه بصوت خفيض، ويكنون له في أنفسهم المحبة العظيمة، وأما جفاة الأعراب فقد عنفهم القرآن على سوء أدبهم وجفائهم، وارتفاع أصواتهم وجرأتهم في طبيعة مخاطبتهم للرسول ^ ، وهذه مواقف تدل على حسن معاملة رسول الله ^ للأعراب:

**١ - الأعرابي الذي رفض البشرى:**

قال أبو موسى الأشعري: كنت عند النبي ^ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبيَّ ^ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: «**أبشر**» فقال: قد أكثرت عليَّ من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان، فقال: «رد البشرى، فاقبلا أنتما» قالا: قبلنا. ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه ثم قال: «اشربا

منه، وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا» فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة(٤٣).

**٢- مقولة الأعرابي: ما أريدَ بهذه القسمة وجه الله:**

قال عبد الله بن مسعود t :... فلما كان يوم حنين آثر رسول الله ^ ناسا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناسا من أشراف العرب، وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد فيها وجه الله، قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله ^ ، قال: فأتيته فأخبرته بما قال، قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف، ثم قال: «**فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله؟!**» قال: ثم قال: «**يرحم الله موسى؛ قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**» قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثا(٤٤).

---

(٤٣) البخاري، كتاب المغازي رقم ٤٣٢٨.

(٤٤) مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم، حديث ١٠٦٢.

## ١٤-تعامله ^ مع هوازن لما أسلمت:

جاء وفد هوازن لرسول الله بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا منَّ الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا لابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر(٤٥) ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدهما وعطفهما، وأنت رسول الله خير المكفولين، ثم أنشأ يقول:

امنن علينا رسولَ الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر(٤٦)

إلى أن قال:

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك يملؤه من محضها درر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذر

فكان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم، فعادت فواضله عليه السلام عليهم قديما وحديثًا وخصوصًا وعمومًا(٤٧).

---

(٤٥) انظر: البداية والنهاية (٤/٣٥٢).

(٤) المصدر نفسه (٤/٣٥٢).

فلما سمع رسول الله ^ من الوفد قال لهم: «**نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟**» فقالوا: يا رسول الله خيَّرتنا بين أحسابنا وأموالنا؟ بل أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا، فقال رسول الله: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا فقولوا: إنا نستشفع برسول الله ^ إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله ^ في أبنائنا ونسائنا، فإني سأعطيكم عند ذلك وأسأل لكم**» فلما صلى رسول الله ^ بالناس الظهر قاموا فقالوا ما أمرهم به رسول الله ^ ، فقال: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم**» فقال المهاجرون: وما كان لنا فهو لرسول الله ^ ، وقالت الأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ^ ، وقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة: أما أنا وبنو فزارة فلا، وقال العباس ابن مرداس السلمي: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله ^ ، قال عباس بن مرداس

---

(٤٧) انظر: البداية والنهاية (٣٦٣/٤، ٣٦٤).

لبني سليم: وهنتموني؟ فقال رسول الله ^ : «**من أمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ستة فرائض من أول فيء نصيبه، فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم**»(٤٨)، وفي رواية... فخطب رسول الله ^ في المؤمنين فقال: «**إن إخوانكم هؤلاء جاءونا تائبين، وإني أردت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل**» فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول الله، فقال لهم: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى النبي ^ فأخبروه أنهم طيبوا وأذنوا(٤٩) وقد سر الرسول ^ بإسلام هوازن وسألهم عن زعيمهم مالك بن عوف النصري، فأخبروه أنه في الطائف مع ثقيف، فوعدهم برد أهله وأمواله عليه، وإكرامه بمائة من الإبل إن قدم عليه مسلمًا، فجاء مالك مسلمًا فأكرمه وأمّره على قومه

---

(٤٨) المصدر نفسه (٣٥٢/٤، ٣٥٣).

(٤٩) البخاري، كتاب المغازي، رقم ٤٣١٩.

وبعض القبائل المجاورة. لقد تأثر مالك بن عوف وجادت قريحته لمدح النبي ^ فقال:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشاء يخبر عما في غد
وإذا الكتيبة عردت(٥٠) أنيابها بالسمهري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة(٥١) خادر(٥٢) في

لقد كانت سياسته ^ مع خصومه مرنة إلى أبعد الحدود؛ وبهذه السياسة الحكيمة استطاع ^ أن يكسب هوازن وحلفاءها إلى صف الإسلام، واتخذ من هذه القبيلة القوية رأس حربة يضرب بها قوى الوثنية في المنطقة ويقودها زعيمهم مالك بن عوف الذي قاتل ثقيفًا في الطائف حتى ضيق عليهم، وقد فكر زعماء ثقيف في الخلاص من المأزق بعد أن أحاط الإسلام

---

(٥٠) عردت: اشتدت وضربت، القاموس المحيط (٣١٣/١).

(٥١) الهباءة: غبار الحرب، مختار الصحاح، ص٦٨٩.

(٥٢) الخادر: المقيم في عرينه، والخدر ستر يمد للجارية من ناحية البيت.

(٥٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٤٤/٤).

بالطائف من كل مكان فلا تستطيع تحركًا ولا تجارة، فمال بعض زعماء ثقيف إلى الإسلام مثل عروة بن مسعود الثقفي الذي سارع إلى اللحاق برسول الله ^ وهو في طريقه إلى المدينة بعد أن قسم غنائم حنين واعتمر من الجعرانة، فالتقى به قبل أن يصل إلى المدينة، وأعلن إسلامه وعاد إلى الطائف، وكان من زعماء ثقيف محبوبًا عندهم، فدعاهم إلى الإسلام وأذن في أعلى مترله فرماه بعضهم بسهام فأصابوه، فطلب من قومه أن يدفنوه مع شهداء المسلمين في حصار الطائف(٥٤).

إن الإنسان ليعجب من فقه النبي ^ في معاملة النفوس، ومن سعيه الحثيث لتمكين دين الله تعالى، لقد استطاع ^ أن يزيل معالم الوثنية، وبيوتات العبادة الكفرية من مكة وما حولها، ورتب ^ الأمور التنظيمية للأراضي التي أضيفت للدولة الإسلامية، فعين عتاب بن أسيد أميرا على مكة، وجعل معاذ بن

---

(٥٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٩٢/٤).

جبل مرشدًا وموجهًا ومعلمًا ومربيًا(٥٥)، وعين على هوازن مالك بن عوف قائدًا ومجاهدًا، ثم اعتمر ورجع إلى المدينة ^ .

## ١٥- تفسير الآيات التي نزلت في غزوة حنين:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥٦].

إن غزوة حنين سُجلت في القرآن الكريم لكي تبقى درسا للأمة في كل زمان ومكان، ولقد عرضت في القرآن الكريم على منهجية ربانية كان من أهم معالمها الآتي(٥٧):

---

(٥٥) المصدر نفسه (١٥٣/٤).

٥٦ ) [التوبة: ٢٥-٢٧]

(٥٧) انظر: حديث القرآن (٦٠٢/٢، ٦٠٣).

أ- بين القرآن الكريم أن المسلمين أصابهم الإعجاب بكثرة عددهم، قال تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ** ﴾ ثم بين القرآن أن هذه الكثرة لا تفيد﴿**فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا** ﴾.

ب- بين القرآن الكريم أن المسلمين انهزموا وهربوا ما عدا النبي ^ ونفر يسير من أصحابه، قال تعالى: ﴿**وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾.

ج- بين القرآن الكريم أن الله نصر رسوله ^ في هذه المعركة وأكرمه بإنزال السكينة عليه وعلى المؤمنين فقال تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ** ﴾.

د- بين القرآن الكريم أن الله أمد نبيه محمدا ^ بالملائكة في حنين قال تعالى: ﴿ **وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾.

وأكد –سبحانه- على أنه يقبل التوبة من عباده ويوفق من شاء إليها، قال تعالى: ﴿ **ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾.

## ١٦ - أسباب الهزيمة:

وقعت الهزيمة في الجولة الأولى لعدة أسباب منها:

١- أن شيئًا من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين، لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي ^ فكانت الهزيمة.

٢- خروج شبان ليس لديهم سلاح أو سلاح كافٍ، وإنما عندهم حماس وتسرع.

٣- أن عدد المشركين كان كثيرًا بلغ أكثر من ضعفي عدد المسلمين.

٤- أن مالك بن عوف سبق بجيشه إلى حنين فتهيأ هنالك ووضع الكمائن والرماة في مضايق الوادي وعلى جوانبه، وفاجأوا المسلمين، برميهم بالنبال وبالهجوم المباغت.

٥- كان العدو مهيأ ومنظما ومستعدا للقتال حال مواجهته لجيش المسلمين، فقد جاء المشركون بأحسن صفوف رُئيت: صف الخيل ثم المقاتلة ثم النساء من وراء ذلك ثم الغنم ثم النعم.

٦- وجود ضعاف الإيمان الذين أسلموا حديثًا في مكة، ففروا فانقلبت أولاهم على أخراهم، فكان ذلك سببا لوقوع الخلل وهزيمة غيرهم(٥٨).

## ١٧- عوامل النصر:

كانت عوامل النصر في حنين عدة أسباب منها:

١- ثبات الرسول في القتال وعدم تراجعه، مما جعل الجنود يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت.

٢- شجاعة القائد، فالرسول القائد لم يثبت في مكانه فحسب، بل تقدم نحو عدوه راكبًا بغلته، فطفق يركض ببغلته قِبَل الكفار والعباس آخذ بلجام البغلة يكفها ألا تسرع.

٣- ثبات قلة من المسلمين معه وحوله حتى جاء الذين تولوا وأكملوا المسيرة؛ مسيرة الثبات والبر والقتال حتى النصر.

٤- سرعة استجابة الفارِّين والتحاقهم بالقتال.

٥- وقوع الجيش المعادي في خطأ عسكري قاتل، وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد فراره، مما أعطى

---

(٥٨) انظر: المستفاد من قصص القرآن (٤٠٩/٢). (٢) مسلم بشرح النووي (١١٦/١٢، ١١٧).

فرصة ثمينة للجيش الإسلامي ليلتقط أنفاسه ويعود إلى ساحة القتال ويستأنف القتال من جديد بقيادة القائد الثابت الشجاع رسول الله ^ .

٦- رمية الحصى، فقد أخذ النبي ^ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد»(٥٩).

٧- الاستعانة والاستغاثة بالله عز وجل، فقد كان الرسول يلح على الله في الدعاء بالنصر على الأعداء.

٨- إنزال الملائكة في الغزوة ومشاركتهم فيها، وقد سجل الله هذه المشاركة في كتابه الكريم في سورة التوبة(٦٠):﴿ **وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ** ﴾.

---

(٦٠) انظر: السيرة النبوية لأبي فارس، ص٤٢٣.

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/٥٢٠).

**١٨- نزول الآية الكريمة ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾[٦١]:**

وقد نزلت في يوم أوطاس لبيان حكم المسبيات المتزوجات، وقد فرق السبي بينهن وبين أزواجهن، فأوضحت الآية جواز وطئهن إذا انقضت عدهن، لأن الفرقة تقع بينهن وبين أزواجهن الكفار بالسبي وتنقضي العدة بالوضع للحامل وبالحيض لغير الحامل(٦٢).

**١٩- منع المخنثين خلقة من الدخول على النساء الأجنبيات:**

كان ذلك مباحًا إذ لا حاجة للمخنث بالنساء، وكان سبب المنع ما رواه البخاري عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة، دخل عليَّ النبي ^ وعندي مخنث فسمعته يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليك الطائف غدًا،

٦١ ) [النساء: ٢٤]

٦٢ انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٥٢٠/٢).

فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي ^ : «**لا يدخلن هؤلاء عليكم**»(٦٣).

وفي هذا المنع حرص النبي ^ على سلامة أخلاق المجتمع الإسلامي.

**٣٠- النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين:**

وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله مر يوم حنين بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون(٦٤) عليها، فقال رسول الله ^ : «**ما كانت هذه لتقاتل**» وقال لأحدهم: «**الحق خالدًا فقل له لا يقتلن ذرية ولا عسيفًا**»(٦٥)، وفي رواية: «**فقل له إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفًا**»(٦٦).

---

(٦٣) البخاري،كتاب المغازي، (١٢٠/٥) رقم ٤٣٢٤.

(٤) متقصفون: مجتمعون.

(٦٥) انظر: البداية والنهاية (٣٣٦/٤).

(٦) المصدر نفسه (٣٣٥/٤).

## ٣١- تشريع العمرة من الجعرانة:

أحرم النبي ^ بعمرة من الجعرانة، وكان داخلا إلى مكة وهذه هي السنَّة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير مما لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منها بعمرة ثم يرجع إليها فهذا لم يفعله رسول الله ^ ، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس زعموا أنه اقتداء بالنبي وغلطوا، فإنه إنما أحرم منها داخلا إلى مكة و لم يخرج منها إلى الجعرانة ليحرم منها(٦٧).

## ٣٢- إرشاده ص للأعرابي بأن يصنع في العمرة ما يصنع في الحج:

قال يعلى بن منبه: جاء رجل إلى النبي ^ وهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوق(٦٨) -أو قال: أثر صفرة- فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي؟ قال: وأُنزل على النبي ^ الوحي، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي

---

(٦٧) انظر: زاد المعاد (٣/٥٠٤).

(٦٨) خلوق: طيب.

^ وقد أنزل الوحي عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه فنظرت إليه، فإذا له غطيط (قال) فلما سري عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصفرة -أو قال: أثر الخلوق- واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك» (٦٩).

### ٢٣- من قتل قتيلاً فله سلبه:

قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمًّا شديدًا حتى تخوفت، ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله، فقال رسول الله ^ : «**من أقام بينة على قتيل قتله، فله سلبه**»، فقمت لألتمس بينة قتيلي فلم أر أحدًا يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره

---

(٦٩) انظر: صحيح السيرة النبوية، ص٥٧٨.

لرسول الله ^ فقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا لا يعطه(٧٠) أصيبغ من قريش ويدع(٧١) أسدًا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله، قال: فقام رسول الله ^ فأداه إليَّ فاشتريت منه خرافًا(٧٢)، فكان أول مال تأثلته في الإسلام(٧٣).

ونلحظ في هذا الخبر أن أبا قتادة الأنصاري t حرص على سلامة أخيه المسلم، وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق t فيه دلالة على حرصه على إحقاق الحق، والدفاع عنه، ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمترلة رفيعة بالنسبة له(٧٤).

---

(٧٠) لا يعطه: أي لا يعطي رسول الله r، وقوله أصيبغ: نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.

(٧١) يدع: يترك.

(٧٢) خرافا: أي بستانا أقام الثمر مقام الأصل.

(٧٣) البخاري، كتاب المغازي (١١٩/٥) رقم ٤٣٢٢.

(٧٤) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي، (٢٦/٨).

## ٣٤- النـهي عن الغلول:

أخذ النبي ^ يوم حنين وبرة من سنام بعير من الغنائم، فجعلها بين إصبعيه ثم قال: «**أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، وإياكم والغلول، فإن الغلول عار، ونار، وشنار على أهله في الدنيا والآخرة**»(٧٥).

ولما سمع الناس هذا الزجر بما فيه من وعيد من رسول الله ^ أشفقوا على أنفسهم وخافوا خوفا شديدًا فجاء أنصاري بكبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الوبرة لأخيط بها برذعة بعير لي دبر، فقال له ^ : «**أما حقي منها، وما كان لبني عبد المطلب فهو لك**»، فقال الأنصاري: أما إذا بلغ الأمر فيها ذلك فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده(٧٦).

وأما عقيل بن أبي طالب فقد دخل على امرأته فاطمة بنت شيبة يوم حنين، وسيفه ملطخ دمًا، فقال لها: دونك هذه الإبرة

---

(٧٥، ٢) انظر: البداية والنهاية (٣٥٣/٤).

تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع المنادي يقول: من أخذ شيئًا فليرده، حتى الخياط والمخيط، فرجع عقيل فأخذ الإبرة من امرأته، فألقاها في الغنائم(٧٧).

وهذا التشديد في النهي عن الغلول، وتبشيعه بهذه الصورة الشائهة المرعبة، ولو كان في شيء تافه لا يلتفت إليه، يمثل معلما من أهم معالم المنهج النبوي في تربية الأفراد على ما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم في حياته العملية، إيمانًا وأمانة، وفي التزام الأفراد بهذا التوجيه يتطهر المجتمع المسلم من رذيلة الخيانة، لأن التساهل في صغيرها يقود إلى كبيرها، والخيانة من أرذل الأخلاق الإنسانية التي لا تليق بالمجتمع المسلم(٧٨).

---

(٧٧) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٤٥/٤).

(٧٨) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (٣٨٧/٤؛ ٣٨٨).

## ٢٥- وفاء نذر كان في الجاهلية:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لما قفلنا من حنين سأل عمر النبي ^ عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتكافًا فأمره النبي ^ بوفائه(٧٩).

## ٢٦- أنس بن أبي مرثد الغنوي وحراسة المسلمين:

قال رسول الله ^ قبل اندلاع معركة حنين: «**من يحرسنا الليلة؟**» فقال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله، قال ^ : «**فاركب**» فركب ابن أبي مرثد فرسا له، وجاء إلى رسول الله ^ فقال له ^ : «**استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ونُغَرَنَّ من قبلك الليلة**».

قال سهيل بن الحنظلية: فلما أصبحنا خرج رسول الله ^ إلى مصلاه، فركع ركعتين، ثم قال: «هل أحسستم فارسكم؟»

---

(٧٩) البخاري، كتاب المغازي (١١٨/٥)، رقم ٤٣٢٠.

قالوا: ما أحسسناه، فثّوب بالصلاة، فجعل ^ يصلي، وهو يلتفت إلى الشعِّب، حتى إذا قضى صلاته، قال: «أبشروا فقد جاءكم فارسكم»، فجعل ينظر إلى خلال الشجر في الشعب، فإذا هو قد جاء حتى وقف عليه فقال: إني انطلقت حتى إذا كنت في أعلى الشعب حيث أمرني ^ ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما فنظرت فلم أر أحدا، فقال ^ : «**هل نزلت الليلة؟**» فقال: لا، إلا مصليا أو قاضي حاجة، فقال له ^ : «**قد أوجبت، فلا عليك أن تعمل بعدها**»(٨٠) وفي هذا الخبر يظهر لنا المنهج النبوي الكريم في الاهتمام بالأفراد، فقد ظهر اهتمام النبي ^ بطليعة القوم حتى جعل يلتفت في صلاته، وما كان ذلك ليحدث إلا لأمر مهم، ثم إنه ^ قال: «**أبشروا فقد جاء فارسكم**»، إنها الكلمة التي يستعملها ^ في إخبارهم بما يسرهم من الأمور العظيمة، تلك هي أهمية الفرد في المجتمع الإسلامي، إنه ليس كمًّا مهملاً، ولا رقمًا في سجل ولا بزالاً في

---

(٨٠) أبو داود في الجهاد رقم ٢٥٠١، صحيح السيرة النبوية، ص٥٥٠.

آلة، يستغنى عنه عند الضرورة ليؤتى بغيره، إنها بعض التفسير للمنهج الإلهي(٨١) في قوله: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ] [٨٢].

كما أن في هذه القصة معلمًا من معالم المنهج النبوي الكريم في وجوب اليقظة وتعرف أحوال العدو، ومراقبة حركاته، ومعرفة ما عنده من القوة عددًا وعدة، وما رسمه من خطط حربية، وهي سياسة مهمة بالنسبة للقادة الذين يسعون لإعلاء كلمة الله في الأرض(٨٣).

وأما قول الرسول ^ : «**قد أوجبت فلا عليك أن تعمل بعدها**» فهذا محمول على النوافل التي يكفر الله بها السيئات، ويرفع بها الدرجات، والمقصود أنه عمل عملا صالحـًا كبيرًا يكفي لتكفير ما قد يقع منه من سيئات في المستقبل، ويرفع الله

(٨١) انظر: معين السيرة، ص٤٢٩.

٨٢ )[الإسراء: ٧٠]

(٨٣) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (٣٦٦/٤).

به درجاته في الجنة، وليس المقصود أن هذا العمل يكفيه عن أداء الواجبات(٨٤).

## ٢٧- شجاعة أم سليم يوم حنين:

قال أنس t : إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا(٨٥) فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله ^ : «**ما هذا الخنجر**» قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله ^ يضحك، قالت: يا رسول الله، اقتل من بعدنا(٨٦) من الطلقاء(٨٧) انهزموا بك(٨٨)، فقال رسول الله: «**يا أم سليم، إن الله قد كفى وأحسن**»(٨٩).

---

(٨٤) انظر: التاريخ الإسلامي (١٤/٨).

(٥) خنجرًا: سكين كبير ذو حدين.

(٨٦) من بعدنا: من سوانا.

(٨٧) الطلقاء: هم الذين أسلموا يوم الفتح وكانوا سبب الانهزام في المرة الأولى.

(٨٨) انهزموا بك: انهزموا عنك.

(٨٩) مسلم، رقم ١٨٠٩، صحيح السيرة النبوية، ٥٦٣.

### ٣٨- الشيماء بنت الحارث أخت النبي ^ من الرضاعة:

كان المسلمون قد ساقوا فيمن ساقوه إلى رسول الله الشيماء بنت الحارث، وبنت حليمة السعدية، أخت رسول الله ^ من الرضاعة، وعنفوا عليها في السوق، وهم لا يدرون، فقالت للمسلمين: تعلمون والله أني لأخت صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله، ولما انتهت الشيماء إلى رسول الله ^ قالت: يا رسول الله إني أختك من الرضاعة، قال: «**ما علامة ذلك؟**» قالت: عضة عضضتها في ظهري، وأنا متوركتك(٩٠)، وعرف رسول الله ^ العلامة، وبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وخيَّرها، وقال: «**إن أحببت فعندي محببة مكرمة، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت**» فقالت: بل تمتعني وتردني إلى قومي(٩١). ومتعها

---

(٩٠) متوركتك: يعني حاملتك على وركي.

(٩١) انظر: البداية والنهاية (٣٦٣/٤) السيرة النبوية الصحيحة (٥٠٦/٢).

رسول الله ^ فأسلمت، وأعطاها رسول الله ^ ثلاثة أعبد وجارية ونعماء وشاء(٩٢).

**٣٩- إسلام كعب بن زهير -الشاعر- والهيمنة الإعلامية على الجزيرة:**

لما قدم رسول الله ^ من الطائف، جاءه كعب بن زهير -الشاعر ابن الشاعر- وكان قد هجا رسول الله ^ ثم ضاقت به الأرض، وضاقت عليه نفسه، وحثه أخوه (بجير) على أن يأتي رسول الله ^ تائباً مسلما، وحذره من سوء العاقبة إن لم يفعل ذلك، فقال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله ^ والتي اشتهرت بـــ (قصيدة بانت سعاد)، فقدم المدينة، وغدا إلى رسول الله ^ حين صلى الصبح، ثم جلس إليه، ووضع يده في يده، وكان رسول الله ^ لا يعرفه، فقال لرسول الله ^ : إن كعب بن زهير جاء يستأمنك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابل منه؟ فوثب عليه رجل من الأنصار، فقال: يا رسول الله، دعني وعدو

---

(٩٢) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص٣٥٨.

(٨) متبول: مغرم، مكبول: مقيد.

الله، أضرب عنقه، فقال رسول الله ^ : «**دعه عنك فقد جاء تائبًا نازعًا**»، وأنشد كعب قصيدته اللامية التي قال فيها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول( متيم إثرها لم يفد مكبول

وما سعاد غداة الطرف إذ رحلوا إلا أغنُّ قرير العين مكحول(٩٣)

ومنها:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

في عصبة من قريش قال ببطن مكة لما أسلموا: زولوا

شُمُّ العرانين أبطال لبوسُهم من نسج داود في الهيجا

ويقال إنه لما أنشد رسول الله قصيدته أعطاه بردته، وهي التي صارت إلى الخلفاء(٩٥). قال ابن كثير: هذا من الأمور المشهورة جدًّا، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله أعلم(٩٦).

---

(٩٣) أغن: صفة للغزال الذي في صوته غنة.

(٩٤) انظر: البداية والنهاية (٣٦٩/٤- ٣٧١). (٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٤٨٧/٢).

(٩٦) انظر: البداية والنهاية (٣٧٤). (٤) المصدر نفسه (٣٧٣/٤).

ويقال: إن الرسول ^ قال له بعد ذلك: «**لولا ذكرت الأنصار بخير فإن الأنصار لذلك أهل!**»(٩٧)، فقال:

من سره كرم الحياة فلا يزل    في مقنب من صالحي
ورثوا المكارم كابرًا عن كابر    إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهريَّ بأذرع    كسوالف الهندي غير قصار(٩٩)
والناظرين بأعين محمرَّة    كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسَهم لنبيهم    للموت يوم تعانق وكرار
والقائدين(١٠١) الناس عن أديانهم    بالمشرفي وبالقنا الخطار(١٠٠)
يتطهرون يرونه نسكًا لهم    بدماء من علقوا من الكفار

إلى أن قال:

لو يعلم الأقوام علمي كله    فيهم لصدقني الذين أماري(١٠٢)

---

(٩٨) المقنب: الجماعة من الخيل، يريد به القوم على ظهور جيادهم.

(٩٩) السمهري: الرمح، سوالف الهندي: حواشي السيف.

(١٠٠) المشرفي: السيف، والقنا، الرماح جمع قناة، والخطار: المهتز.

(١٠١) القائدين: المانعين الناس.

(١٠٢) أماري: أجادل.

قوم إذا خوت النجوم فإنهم للطارقين(١٠٣) النازلين مقاري(١٠٤)

وبإسلام كعب بن زهير نستطيع القول إن الشعراء المعارضين للدعوة الإسلامية قد انتهى دورهم، فقد أسلم ضرار بن الخطاب وعبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن هشام، والعباس بن مرداس، وتحولوا إلى الصف الإسلامي، واستظلوا بلوائه عن قناعة وإيمان، و لم يكتف بعضهم بأن تكون كلمته في الدفاع عن الإسلام، بل كان سيفه إلى جانب كلمته، وهذا من بركات فتح مكة(١٠٥).

## ٣٠- رفع الصوت للحاجة:

الرسول عليه الصلاة والسلام ذم رفع الصوت لغير الحاجة؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ **واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾[١٠٦] فأما رفع الصوت للحاجة فلا بأس به.

(١٠٣) خوت النجوم: أي سقطت، الطارقين: الذين يأتون بالليل.

(١٠٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٦٧/٤، ١٦٨).

(١٠٥) انظر: معين السيرة، ص٤٣١ - ٤٣٣.

١٠٦ ) [لقمان:١٩]

قال البخاري في كتاب العلم: باب من رفع صوته بالعلم، ثم أتى بحديث ابن عمرو : « أن الرسول عليه الصلاة والسلام رفع صوته وقال: ويل للأعقاب من النار » فهنا رفع ^ صوته ينادي في الناس، وقال للعباس : ارفع صوتك وناد في الناس، فأخذ يقول: «**يا أهل سورة البقرة، يا من بايع النبي ^ تحت الشجرة**» حتى يأتون.

## ٣١- تأثير قبضتي الحصى والتراب في أعين الأعداء:

من الأسلحة المادية التي أيد الله بها رسوله ^ يوم حنين تأثير قبضتي الحصى والتراب اللتين رمى بهما وجوه المشركين، حيث دخل في أعينهم كلهم من ذلك الحصى والتراب فصار كل واحد يجد لها في عينيه أثرًا، فكان من أسباب هزيمتهم(١٠٧)، قال العباس t : ثم أخذ رسول الله ^ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا وربِّ محمد» قال: فذهبت أنظر

(١٠٧) انظر: القيادة العسكرية في عهد رسول الله، ص٢٥٩.

فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبرا(١٠٨).

## ٣٢- فضل أبي سفيان بن الحارث t :

وهو أبو سفيان بن الحارث ليس أبا سفيان بن حرب ، فـــ أبو سفيان بن الحارث ابن عم رسول الله ^ ، والرسول عليه الصلاة والسلام كان له أعمام عشرة منهم الحارث ابنه أبو سفيان هذا، وما أسلم إلا قبل الفتح بأيام، سمع أن الرسول عليه الصلاة والسلام سوف يقدم فاتحاً لـــ مكة ، وعلم أنه أساء مع الرسول عليه الصلاة والسلام في المقاتلة وأساء في المهاجاة؛ لأن أبا سفيان كان شاعرا يرسل القصائد يهجو بها رسول الله ^ والمسلمين، فلما علم أن الرسول عليه الصلاة والسلام سوف يقدم مكة فاتحا أخذ أطفاله، وكانوا صغارا كأنهم فراخ الطير من البنات ومن الأبناء، وخرج بهم من مكة ولقيهم علي بن أبي طالب دون مكة بين عسفان و مكة في طريق رحب في شعب من الشعاب.

---

(١٠٨) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين (١٣٩٩/٣) رقم ١٧٧٥.

فقال علي ابن عمه: إلى أين يا أبا سفيان ؟ قال: يا علي قاتلنا محمدا وآذيناه وشتمناه وطردناه وأخرجناه؛ سوف أخرج بأطفالي هؤلاء وأموت جوعاً وعرياً وعطشاً في الصحراء، والله لئن قدر علي ليقطعني بالسيف إرباً إربا.

فقال علي بن أبي طالب : أخطأت يا أبا سفيان ! إنك لا تعرف رسول الله ^ ، فهو أحلم الناس وأكرمهم وأرحمهم، فعد إليه وسلم عليه بالنبوة، وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف:

﴿ **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين** ﴾[١٠٩] لأنهم إخوان وأبناء عم، فأتى أبو سفيان بأطفاله يقودهم بأيديهم، فلما وقف عند خيمة أم سلمة وكان الرسول ^ داخل الخيمة، قال: ائذنوا لي أدخل على رسول الله ^ ، قال الرسول ^ : **من في الباب**؟ قالوا: يا رسول الله أبو سفيان بن الحارث ، قال: لا يدخل علي، لأنه أساء كل الإساءة ما ترك أمرا إلا وكاد به رسول الله ^ ، فأخذت أم سلمة تبكي وتقول: يا رسول الله!

---

١٠٩ ) [يوسف:٩١]

لا يكون ابن عمك وقريبك أشقى الناس بك، وأخذت تناشده الله عز وجل، قال: أدخلوه علي، فدخل.

فقال: السلام عليك يا رسول الله، أما بعد: ﴿ **لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين** ﴾[110] قاتلناك يا رسول الله وآذيناك وأخرجناك والله لا أدع موقفا قاتلتك فيه إلا قاتلت فيه معك، ولا نفقة أنفقتها في حربك إلا أنفقتها معك، ثم أخذ يعدد، فرفع ^ طرفه وعيناه تترل الدموع، قال: ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين** ﴾[111] فقال: يا رسول الله! اسمع مني، قال: قل، قال:

لعمرك إني يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لك المدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني يوم أهدى وأهتدي
هداني إلى الرحمن ربي وقادني إلى الله من طردت كل مطرد

---

١١٠ ) [يوسف:٩١]

١١١ ) [يوسف:٩٢]

فقام عليه الصلاة والسلام فعانقه وضرب على صدره وقال: أنت طردتني كل مطرد، فأخذ يخدم محمداً ^ ، لا يرتحل مرتحلا إلا قام وحزم له متاعه وشد له رحله، وأخذ ببغلته يقودها، فهو قائد البغلة يوم حنين اليوم الأكبر من أيام الله، يوم ثبت رسول الهدى ^ ونزل يقارع الأبطال وهو يقول: « **أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب** ».

## ٣٣- بيان خطورة الشرك بالله:

وفي قصة ذات أنواط بيان خطورة أمر الشرك، ووجوب سد ذرائعه؛ فقد بين النبي - ^ - أن طلبهم العكوف عند الشجرة للتبرك بـها هو كطلب بني إسرائيل من موسى أن يجعل لهم إلهاً، قال الشيخ سليمان آل الشيخ تعليقاً على هذا الحديث: " وفي هذه الجملة من الفوائد أن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار، من التبرك بـها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون هذا شركاً ويقع في هذه الأمة، فإذا كان بعض الصحابة

ظنوا ذلك حسناً، وطلبوه من النبي - ^ - فكيف بغيرهم مع غلبة الجهل وبعد العهد بآثار النبوة؟[١١٢]

وقال أحد الصالحين "فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمونـــها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، ويضربون بـــها المسامير والخرق، فهي ذات أنواط فاقطعوها"

وفيها أيضاً إثبات العذر بالجهل في مسائل التوحيد وغيرها؛ فإن النبي - ^ - مع إنكاره عليهم، وبيانه أن ما طلبوه هو نوع من الشرك، إلا أنه لم يكفرهم، لكونـــهم لا يعلمون ذلك . وذلك أن الله - تعالى - من رحمته بعباده لا يؤاخذهم إلا بما بلغهم من العلم، فإن الفعل أو القول قد يكون كفراً كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فيطلق القول بتكفير صاحبه، فيقال من

---

١١٢ ) "( تيسير العزيز الحميد (ص: ١٨٤).

قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا نحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها"[١١٣]

وقال أيضاً: "فإنا بعد معرفة ما جاء به الرسول - ^ - نعلم بالضرورة أنه لم يشرع لأمته أن تدعو أحداً من الأموات، لا الأنبياء ولا الصالحين، ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة، ولا بغيرها ولا بلفظ الاستعاذة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا لغير ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نــهى عن كل هذه الأمور، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله - تعالى - ورسوله، لكن لغلبة الجهل، وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك، حتى يبين لهم ما جاء به الرسول - ^ - مما يخالفه"

## ٣٤- ثباته ^ وأثره في كسب المعركة:

سبقت هوازن المسلمين إلى وادي حنين، واختاروا مواقعهم، وبثوا كتائبهم في شعابه ومنعطفاته وأشجاره، وكانت

---

١١٣ ) مجموع الفتاوى: (٣٤٥/٢٣-٣٤٦)

خطتهم تتمثل في مباغتة المسلمين بالسهام أثناء تقدمهم في وادي حنين المنحدر.

لقد باغت المشركون المسلمين وأمطرهم الأعداء من جميع الجهات، فاضطربت صفوفهم، وماج بعضهم في بعض، ونتيجة لهول هذا الموقف انهزم معظم الجيش ولاذوا بالفرار، كل يطلب النجاة لنفسه، وبقي الرسول ^ ونفر قليل في الميدان يتصدون لهجمات المشركين، ونترك العباس عم الرسول ^ يصف لنا ذلك المشهد المهيب حيث يقول: شهدت مع رسول الله ^ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث رسول الله ^ فلم نفارقه، ورسول الله ^ على بغلة له بيضاء، فلما التقى المسلمون والكفار ولّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله ^ يركض بغلته قِبَل الكفار، قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ^ أكفها إرادة ألا تسرع، فقال رسول الله ^ : «أي عباس، نادِ أصحاب السمرة» (١١٤) فقال العباس -وكان

---

(١١٤) مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين (٣/١٣٩٨) رقم ١٧٧٥.

رجلا صيتًا-: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك! قال: فاقتلوا الكفار، والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث من الخزرج، فنظر رسول الله ^ وهو على بغلته، كالمتطاول عليها إلى قتالهم فقال رسول الله ^ : «**هذا حين حمي الوطيس**»(١١٥).

وفي ثباته - ^ - عند انـــهزام القوم عنه بيان ما كان يتحلى به - ^ - من الشجاعة، وقوة البأس في القتال، قال ابن كثير بعد أن ذكر ثبات النبي يوم حنين: "وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة، أنه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى، وقد انكشف عنه جيشه، وهو مع هذا على بغلة، وليست سريعة الجري ولا تصلح لفر، ولا لكر، ولا لهرب، وهو مع هذا أيضا يركضها إلى وجوههم، وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين، وما هذا كله إلا ثقةً بالله

---

(١١٥) المصدر نفسه (١٣٩٩/٣) رقم ١٧٧٢.

وتوكلاً عليه، وعلماً منه بأنه سينصره، ويتم ما أرسله به، ويظهر دينه على سائر الأديان"[١١٦]

## ٣٥- جواز مقاتلة النساء عند أمر الفتنة:

وفي هذه الغزوة جواز مقاتلة النساء عند أمر الفتنة مع الرجال في صف المسلمين، وقد أورد ابن كثير بأسانيد صحيحة: أن أم سليم قاتلت مع الرسول ^ يوم حنين .

و أم سليم هي أم أنس بن مالك التي أهدت ابنها إلى رسول الله ^ ، وقالت: أنس يخدمك يا رسول الله فادع الله له، فدعا له.

و أم سليم هي التي يقول عنها ^ : « **دخلت الجنة البارحة فرأيت الرميصاء في الجنة** ».

حضرت المعركة وكانت عندها خنجر في وسطها، فأخذ زوجها أبو طلحة يداعبها ويمازحها ويقول: ماذا تفعلين بهذا الخنجر؟ قالت: إذا تقدم مني كافر بعجت بطنه بهذا الخنجر، فسمع ^ مقالتها فتبسم ثم دعا لها.

---

١١٦ ) تفسير القرآن العظيم: (٣٤٦/٢ )

فأقر ^ المرأة على أن تشارك في الحرب عند الحاجة، أما إذا كان هناك فتنة أو مغبة اختلاط، فلا ينبغي أن تشارك المرأة إلا إذا احتيج إليها، وشأن المرأة في القتال مداواة الجرحى والقيام على الأسرى وتقريب الماء والخدمات للمقاتلين.

## ٣٦- ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين :

يقول أحد المسلمين: لما التقينا يوم حنين رأيت كافرا من هوازن يفتك بالمسلمين فتكا ويقتل فيهم قتلا، قلت: لله علي نذر إن أمكنني الله منه أن أقتله، قال: فلما انهزموا وأصبحوا في ذمة رسول الله ^ تقدموا يبايعونه على الإسلام، فتقدمت لأسبق هذا الرجل قبل أن يبايع الرسول عليه الصلاة والسلام لأقتله، فسبقني حتى وقف أمام الرسول عليه الصلاة والسلام، وعلم ^ أني نذرت، فأراد أن يترك لي الفرصة حتى أقتله.

قال: فانتظر فما فعلت، قال: فأسلم الرجل فولى.

قلت: يا رسول الله أريد قتله فإني نذرت، قال: أما رأيتني تأخرت عن قبول إسلامه؟ فلماذا لم تومئ لي يا رسول الله بعينك، قال: « **ما كان لنبي أن تكون له خائنة أعين** » لأن

خائنة الأعين أو الغمض من شيم أهل الخيانة والخداع والمكر والنفاق، أما الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه صادق واضح مخلص لا يريد التواء في عقيدته ولا في سيرته ولا في معاملته للناس عليه الصلاة والسلام.

## ٣٧- معجزتان حسيتان للنبي ^ :

وفي رميه - ^ - المشركين بالحصى، وإخباره عن هزيمتهم معجزتان حسيتان من معجزاته - ^ -، قال الإمام النووي: "هذا فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله - ^ -: إحداهما فعلية والأخرى خبرية؛ فإنه - ^ - أخبر بـــهزيمتهم، ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين"[١١٧] وما ذكرناه من وقوع معجزات حسية للرسول - ^ - هو أمر ثابت بالأدلة القطعية التي لا يمكن تأويلها بحال، غير أن بعض من يدعون العقلانية يحاولون نفي تلك المعجزات، زاعمين أنـــهم حين يفعلون ذلك يقدمون الإسلام للغربيين على أنه دين العقل والمنطق، لا دين

---

١١٧ ) ( شرح صحيح مسلم: (١١٦/١٢ )

الجهل والخرافة، ومن أشهر من سار على هذا النهج الدكتور محمد حسين هيكل، حيث حاول في كتابه (حياة محمد) نفي كل ما ثبت له - ^ - من معجزات حسية، زاعماً أن القرآن الكريم هو المعجزة الوحيدة له - ^ -، حتى إنه يصور معجزة الإسراء والمعراج على أنـــها نوع من الكشف الذي تجلت فيه للرسول - ^ - تلك المشاهد التي وردت في قصة الإسراء[١١٨]

وهو يورد في تبرير طريقته تلك أن "حياة محمد - ^ - حياة إنسانية بلغت أسمى ما يستطيع إنسان أن يبلغ، ولقد كان - ^ - حريصاً على أن يقدر المسلمون أنه بشر مثلهم يوحى إليه، حتى كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن ويصارح أصحابه بذلك" [١١٩]

---

١١٨ ) انظر: حياة محمد (ص: ١٦٥)

١١٩ ) ( المصدر السابق (ص: ٥١)

ولست أدري على أي شيء استند الدكتور هيكل في قوله إن الرسول - ^ - كان لا يرضى أن تنسب إليه معجزة غير القرآن، وهو الذي كان يخبر أصحابه بما لم يشهدوه من دلائل نبوته؛ كما في حديث الراعي الذي عدا الذئب على شاة من غنمه، فلما استنقذها منه، قال له الذئب: ألا تتقي الله، تنــزع مني رزقاً ساقه الله إلي، فلما تعجب الرجل من أن ذئباً يكلمه كلام الإنس، قال له الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك: محمد - ^ - بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق، (فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله - ^ - فأخبره، فأمر رسول الله - ^ -، فنودي الصلاة جامعة، ثم خرج فقال للراعي: أخبرهم، فأخبرهم فقال رسول الله - ^ -: **صدق...**)[١٢٠] وفي الصحيح قوله -

---

١٢٠ ) ( أخرجه أحمد (٨٣/٣)، وصححه الحاكم (٥١٤/٤)، وأورده ابن كثير في البداية والنهايــة (١٥٠/٦) وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الصحيح، وقد صححه البيهقي.

^ - لأصحابه: «**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»[١٢١] ، وغير ذلك كثير .

إننا نقول إنه إن كان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول - ^ -، فإن ذلك لا يمنع من ورود الكثير من المعجزات الحسية إقامة للحجة على المعاندين، وتثبيتاً لقلوب المؤمنين في عصره وإلى يوم الدين، وقد جاءت عشرات النصوص الدالة على وقوع تلك المعجزات فلا مجال لإنكارها أو تأويلها بأي وجه من الوجوه .

## ٣٨- ذكر الرجل نفسه عند اللقاء ببعض مناقبه:

عندما يذكر الرجل نفسه ببعض مناقبه عند اللقاء فإن هذا لا ينقص من أجره ولا من مثوبته شيئا، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لما رأى الكتائب تتدفق عليه مثل الجبال، قال: « **أنا ابن العواتك** » وقال: « **أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب** ».

---

١٢١ ) ( أخرجه مسلم (٢٢٧٧) والترمذي (٣٦٢٤) من حديث جابر بن سمرة.)

وانتسب لجده لشهرته في العرب، فهذا لا يثلم في الأجر ولا ينقص في المثوبة، ولذلك يقول أحد الصحابة: التقينا مع الكفار فخرج غلام من الأنصار فرمى كافرا وقال: خذها وأنا الغلام الأنصاري، فأخبروا الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال: وما عليه أن يؤجر ويحمد أي: فهو مأجور ومحمود، ولذلك كان كبار الصحابة إذا بارزوا الأبطال أنشدوا فخرا ورفعا للمعنوية وحماسا وإبداء للشجاعة.

قال أهل السير ومنهم ابن كثير و ابن هشام ، التقى مرحب مع علي فنزل مرحب يقول:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فنزل له علي وقال:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره
أكيلكم بالسيف كيل السندره

وخرج سعد بن معاذ t وأرضاه وهو لابس سلاحه في غزوة من الغزوات وهو يقول:

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

وهكذا ابن رواحة أنشد في المعركة رضوان الله عليهم جميعا، فكان شعارهم أن يتقدموا بهذا، وهي سنة عند العرب، يقول الأحنف بن قيس وقد كان يقاتل في سجستان وهو الذي فتح الطريق إلى كابل قبل الجراح بن عبد الله الحكمي ، يقول:

عهد أبي حفص الذي تبقى   أن يخضب الصعدة أو تندقا

## وقفات تربوية مع حديث تقسيم الغنائم في حنين[١٢٢]

### ٣٩- الوقفة الأولى: كرم بلا حدود :

إنه كرم النبي - ^ - وجوده المنقطع النظير، بل السهل الممتنع، ذلك الكرم الذي يصل إلى حد أن يعطي الرسول - ^ - الرحيم بأمته مئات من الإبل لأفراد لم يقاسوا بعدُ مشقات الطريق، و لم تُخْبَر بعدُ مواقفهم، بل إنّ منهم من سقط في أول اختبار له في حنين، ولكنها الحكمة النبويـــة الرائعـــة؛ فالمال عنـــد القائد الرباني لا يعني شيئاً؛ لأنه ليس من أرباب

---

١٢٢ ) (طه بن حسين بافضل)مجلة البيان العدد ٢١١العام ١٤٢٦هـ )

الأموال الذين تتمايل نفوسهم وراء الدينار والدرهم، وترحل معها حيث رحلت؛ فهذا القائد يعطي متى ما كان معه شيء، ولو كان ثوبه الذي يلبسه؛ فعن سهل بن سعد - t - قال: جاءت امرأة إلى النبي - ^ - ببردة، فقالت: يا رسول الله! أكسوك هذه؛ فأخذها النبي - ^ - فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله! ما أحسن هذه! فأكسُنيها، فقال: «نعم! »[١٢٣]

ويَعِدُ - ^ - ويبشر بالخير ولا يقنّط أحداً؛ فعن جبير بن مطعم - t - قال: بينما أسير مع رسول الله - ^ - ومعه الناس مقفِلة من حُنين، فعلقت الناس يسألونه، حتى اضطروه إلى سَمُرة، فخطفت رداءه فوقف النبي - ^ - فقال: **«أعطوني ردائي! لو كان عدد هذه**

---

١٢٣ ) .(البخاري، الفتح ١٠ (٦٠٣٦)

**العضـــــاة نعماً لقسمته بينكم، ثـــم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً»**[١٢٤]

وكان يبشر أصحابه فيقول: «..**فأبشروا وأمِّلوا ما يسركم؛ فوالله لا الفقرَ أخشى عليكم! ولكن أخشى عليكم أن تُبسَط عليكم الدنيا، كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»**[١٢٥]

القائد أياً كان وضعه عالماً، أو موجهاً، أو معلماً، أو قائداً عسكرياً لا يحبس شيئاً عن أتباعه، أو يبخل عنهم بشيء، كما أنّه يعطي رجالاً ويترك آخرين لحِكَم يراها مثل قوة إيمانهم، وإخلاصهم، ويقينهم، واستقامتهم، وثباتهم؛ فهو حكيم بنفوس الرجال، يقدّر قدرها، ويعرف كيف يمكن قيادها، وما هي الطريقة المثلى لعلاج ما اعوجَّ من سلوكها، فالقيادة والترؤس ليس تصدُّراً وظهوراً فحسب، فهذا يسير حتى على الأغمار وصغار الشباب، ولكن الأمر شيء آخر أبعد من ذلك.

---

١٢٤ ) (البخاري، كتاب الجهاد، رقم (٢٦٠٩)

١٢٥ ).( البخاري، كتاب الجزية، رقم (٢٩٢٤)، ومسلم كتاب الزهد، رقم (٥٢٦١)

لقد كان كرم النبي - ^ - لا لأجل استمالة قلوبهم إلى الباطل، وتزيينه في قلوبهم، وليس لأجل كسب ودّهم وتعاطفهم مع شخصه - ^ - بعيداً عن وظيفته التي كلفه الله بها، وهي الرسالة السماوية الخالدة، وإنما كان لهدف سامٍ ومقصد غاية في النبل والنقاء؛ وهو تأليفهم على الحق وتقريبهم له حتى يثبتوا وتخالط بشاشته قلوبهم .

### ٣٩- المصلحة الشرعية ميزان العطاء والمنع :

ينبغي للقائد في مسألة العطاء والمنع أن يقوم بأمر غاية في الأهمية، حتى لا يهتز مشوار تربيته لتلاميذه وأتباعه: وهو أن يعلمهم بميزان العطاء والمنع الذي يستند إليه، بل وفي كل مسائل تأليف النفوس من تقريب فلان على غيره، والاهتمام بمجموعة على أخرى وهكذا؛ لأن ذلك مدعاة إلى ترسيخ قواعد الثقة بينه وبين الأتباع، ودحض لكل الأقاويل والترهات التي تلوكها الألسن؛ بغية التفريق، وزعزعة الصف، وتوهين لُحمته وسَداه .

فهذه السياسة البعيدة الأفق للنبي - ^ - لم تُفهم أول الأمر، بل أطلقت ألسنة شتى الاعتراض؛ فهناك مؤمنون ظنوا هذا الحرمان ضرباً من الإعراض عنهم، والإهمال لأسرهم .

روى البخاري عن عمرو بن تغلب قال: أعطى رسول الله - ^ - قوماً ومنع آخرين؛ فكأنهم عتبوا عليه، فقال: «**إني أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأَكِلُ قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب**» قال عمرو: فما أحب أن لي بكلمة رسول الله - ^ - حمر النعم؛ فكانت هذه التزكية تطييباً لخاطر الرجل، أرجح لديه من أثمن الأموال» -.- t . فالرسول - ^ - يستخدم هذه السياسة، ويثبت تلك القاعدة العتيدة في ميزان العطاء والمنع؛ «**أعطي قوماً أخاف هلعهم وجزعهم، وأَكِلُ قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى**»، بل يبين مقاصدها وأهدافها؛ فهـا هو يقول للأنصار: «**أَوَجدتم في نفوسكم يا معشر الأنصار في لُعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً أسلموا، ووكلتكم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام؟ أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس**

**إلى رحالهم بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم؟»**

إن الدعوة إلى تمثل هذا الميزان من قِبَل الموجهين، والمربين، والقادة في الحقل الدعوي ليس معناه أن يبقى القائد رهيناً لأهواء تلامذته، وانتقاداتهم، وأمزجتهم، بل إن المسألة لا تعدو أن تكون تربية بالمواقف؛ فهو يستغل كل موقف وحدث استغلالاً رائعاً حتى يجعله لبنة في بنيان النفوس، وحبلاً يشدّ ويمدّ إلى رب العالمين؛ فترتبط بخالقها وبارئها، فلا ترتبط بهذه الدنيا وحطامها وشهواتها؛ ولذا كان لزاماً على القائد أن يكون قريباً من رجاله وتلامذته، يتحسس أخبارهم ولا يتجسس، ويشعر بآلامهم، ويقيّم مواقفهم ببراءة نفس، وصفاء سريرة دون أي مقدمات مسبقة، أو تراكمات سابقة، بل المعيار عنده كتاب الله وسنة رسوله - ^ -، ثم الخبرة الكبيرة التي اكتسبها من مشواره الطويل في خدمة هذا الدين وما أصابه وتعرض له من ابتلاءات ومشكلات .

## ٤١- المبادرة إلى حل الإشكالات :

عدم تأخر النبي - ^ - في حل الإشكال الحادث؛ فما أن سمع بالخبر حتى ذهب مسرعاً إلى القوم، بعد أن استدعاهم، وأنهى بحكمته وحنكته هذا الأمر الطارئ؛ فلو أنه تأخر أو استهان به وتركه، مع أنه سيكون حينئذ معذوراً؛ فهو النبي، وهو القائد الأعلى الذي على عاتقه من المهمات والأعمال الشيء الكثير ــ فلو أنه تأخر ــ لكان هذا الموقف من الأنصار ــ - رضي الله عنهم - ــ قنبلة موقوتة، ربما ستنفجر يوماً من الأيام، وتعلق في أفئدة الرجال استفهامات وتقديرات خاطئة، تساعدها مواقف أخرى، والشيطان لا يترك مثل هذه الفرص، بل يؤججها ويجعلها فتيلاً قابلاً للاشتعال فهو قد: «**أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»[١٢٦]

، «وتلك سنة حميدة يجب أن يتبعها القادة والزعماء مع أنصارهم ومحبيهم؛ فإن الأعداء متربصون لاستغلال كل حادثة أو قول يضعف تعلق المحبين بقادتهم، والشيطان خبيث الدسّ،

---

١٢٦ ) (رواه مسلم (٢٨١٢) من حديث جابر)

سريع المكر؛ فلا يهملِ القادةُ استرضاءَ أنصارهم مهما وثقوا بهم»[١٢٧].

تحدث المشاكل بين العاملين في الحقل الدعوي، وتصل قضاياهم إلى قيادة العمل، ولكن للأسـف تجـد خمولاً إزاءها ولا مبالاة، وكأن هذه القيادة ليس لها إلا التصدر والترؤس، واستصدار الأحكام والفتاوى، أما حل تلك المشكلات وتقريب النفوس وتهذيبها فهذا ليس من اهتماماتها؛ لأن بعضهم يزعم أنها ستشغلهم عن مهمات كبيرة جداً، ولا أدري: هل هذه المهمات أعظم من التفكك والانشقاقات والتصدعات، وهشاشة العمل وتأخر ثمرته؟ فهل هؤلاء القادة يحملون أثقالاً أكثر وأعظم مما حمله - ^ -؟ ولكن المشكلة الحقيقية عند بعض قيادات العمل الدعوي: هي عدم تقدير المواقف بشكل صحيح، وعدم القدرة على استيعاب مواطن الخلاف بين العاملين أو التلامذة، ومن ثم عدم قدرة القائد تحمل أن يرى عماله أو تلامذته يختلفون أمامه، بل بعض القادة يتمنى أن لو

---

١٢٧ ) (السيرة النبوية، دروس وعبر، لمصطفى السباعي، ص ٩٢ .

كانت الأمور تسير دائماً على ما يرام لا يشوبها كدر ولا خلاف أو شقاق وهيهات. لقد نسي هؤلاء ـــ وفقهم الله ـــ أن الله تعالى قال: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْـمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْـخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[١٢٨] .

إن هذه الخلافات التي تبدو لأول وهلة صغيرة فإن فيها من مغذيات النمو ما هو كفيل بأن يجعلها مفاصَلات مع المربي نفسه، ودماراً وخراباً لكل ما بناه في سنيه التي خلت؛ فليس معه إلا أن يوجه أصابع الاتهام ليس إلى ذاته، وتفكيره، وعدم حنكته، وضعف بديهته، وإنما بالدرجة الأولى يوجهها إلى هذا الجيل المتأخر غير المتربي، والذي لا يحترم الكبير فضلاً عن القائد والمربي، ولعمري! إنها لمصيبة عظيمة أن نلقي التبعة على غيرنا، ونخرج نحن خارج الدائرة .

## ٤٣- الحلم مع القدرة :

---

١٢٨ ) [آل عمران: ١٧٩]

سعة صدر النبي - ^ - وتحمّله للنقد الموجّه له؛ «يغفر الله لرسول الله - ^ -؛ يعطي قريشاً ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمائهم؟ »[١٢٩].. فلم يرتفع صوته أو يحمرَّ وجهه ويَسوَدَّ، ولم يرتب أحكاماً ومواقف على هؤلاء المتكلمين؛ فيتعامل معهم معاملة جديدة وفق هذه المعطيات، فيهجرهم ويقاطع العمل معهم؛ بحجة أنهم لا يحترمون القيادة، ولا يوقرون الكبار، ولا يقدرون فضائل من ضَحّى من أجلهم. كلا، لم يفعل - ^ - شيئاً من ذلك؛ بل ذهب إليهم، وطرح عليهم أسئلة حكيمة، ثم مدحهم، وأثنى عليهم ثناءً ومدحاً فوق مستوى الحدث، لم يكن أحد منهم يتوقع هذا المدح والثناء؛ فلم يستطيعوا أن يوقفوا تدفق الدموع على خدودهم .

إن بعض القادة والمربين يستطيع أن يستميل قلوب تلامذته ورجاله لو رآهم أخطؤوا بموعظة بليغة تَوْجَل منها القلوب، وتذرف منها الدموع، إلا أنه تغلبه الطبيعة التي تربى عليها منذ صغره؛ فيرى أن كبرياءه قد جرحت وخدشت، ولا يعيدها إلا

---

١٢٩ ) هذا من رواية أنس كما عند البخاري (٦/٢٥١) رقم (٣١٤٧)

اعتذار على مستوى رفيع، كأن يعتذر هؤلاء الذين تكلموا ليس في اجتماع مغلق: كالحظيرة أو القبة التي اجتمع فيها الأنصار بل اعتذار على الملأ، حتى يجرح كبرياءهم ويخدشه مثلما فعلوا .

إن الرفق بالمتلقي إذا أخطأ أمر مهم جداً؛ إذ إن القسوة عليه في غير محلها، وهو يحب مربيه ومعلمه يوغر في صدره أموراً، ويطرح أمام ناظريه عدة تساؤلات، لا يجيب عليها إلا واقع سيئ يعيشه هذا المتربي في تعامل قادته مع أتباعهم .

كما أن على القائد أن يضع في عين الاعتبار والاهتمام أن أتباعه ذوو عقول تزداد خبرةً وعلماً ومعرفةً يوماً بعد يوم، وفكراً ينضج ساعةً بعد ساعةٍ. فلو أُهملت هذه العقول وتلك الأفكار المتراكمة لكانت العاقبة وخيمة، ويسقط البنيان من القواعد .

يجب ألاّ نتعامل مع المنتقد على أنه ذلك الشاب الصغير الذي كان يوماً من الأيام لا يستطيع أن يثبّت النظر في عيني شيخه ومعلمه، أو ذلك الطالب الذي كان يتلعثم في كلامه .

فعجلة الزمن لا تتوقف؛ فهي تدور ويتطور معها الكائن البشري، ويرتقي في سلم الكمال؛ فيصبح المتربي أو الجندي قائداً بين لحظة وأخرى، وربما نِدّاً لقائده ومعلمه ومربيه .

## ٤٣- الصراحة، والوضوح :

لقد كان سعد بن عبادة - t -: صريحًا وواضحاً في خطابه مع النبي - ^ - قائده ومعلمه؛ فها هو يقول له: «يا رسول الله! إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء .

إن هذه الصفات والخصال الحميدة لا يجيدها إلا النادر من التلاميذ والأتباع، ولا يتقبلها إلا القليل من القادة أو الموجهين الذين لا يضعون على أنفسهم هالة من التبجيل، ولا تصيبهم غضاضة لو لم ينادَ بلقبه أو مركزه العلمي .

الصراحة، والوضوح أسماء ومعانٍ قلّما تجد من يتمثلها فتصبح واقعاً وسلوكاً ومنهجاً في تعامله مع الآخرين صغاراً أم كباراً، ولذا فإنك ترى من يفعل ذلك قد أصبح لكلامه وقعٌ في النفوس، ولوعظه تأثيرٌ في القلوب، وأعماله منهجٌ يسير عليه ويقتدي به الآخرون، وما ذلك إلا لأن هؤلاء قد عظّموا الله ــ جل جلاله ــ تعظيماً فاق كل التصورات، واقتفوا أثر نبيهم،

فكان نبراساً لهم في هذه الحياة. وما أجمل وضوح سعد بن عبادة - t - وشفافية رده للنبي - ^ - عندما سأله: «**فأين أنت من ذلك يا سعد؟** » فقال - ^ -: «يا رسول الله! إنما أنا رجل من قومي»؛ أي: أن قولهم ورأيهم هو قـــــولي ورأيي. لم يكن ســــــعد - t - متكلفاً أو مجاملاً أو متلوناً، وهذه صفات تكثر في الأتباع تجاه قادتهم؛ مما يورث الجماعة انقساماً، وتحزباً، ونجوى مفسدة وموهنة لحبل الاجتماع. وقد يقول قائل: إن سعداً كان إمَّعة في قوله ذاك، أو أنه خاطب النبي - ^ - بالمنطق الجاهلي :

وما أنا إلا من غزية إن غوت *** غويت وإن ترشد غزية أرشدِ

كلاَّ! إنها مسألة بدهية أن يجد الإنسان في نفسه عندما يرى العطايا تقسم ولا يصل له منها شيء، مع أنه جزء من الجماعة؛ فما بالك إذا كان هو مرتكز التغيير والتحول، وصاحب السابقة، والتأييد، والإعزاز، والنصرة؛ فكيف سيكون الحال؟

إن المسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفطرة الإنسان في محبته للمال والعطاء؛ فلا أحد يرضى أن يكون فقيراً أو معدوماً، والله قد

أحل الغنائم لأمة محمد - ^ -؛ فأي غضاضة أن يطلب الإنسان حظه منها؟ !

وهنا يأتي دور الإيمان واليقين والتسليم والاحتساب، يأتي دور المربي كي يبني بنيان الإسلام في قلب المتربي بكل ما يحمله من قِيَم ومبادئ ومعان سامية، حتى لا يبقي في قلبه سوى حب الله وحب الرسول - ^ - وما أعده الله للصابرين الذين باعوا الدنيا وما فيها، واشتروا بها جنة عرضها السموات والأرض، وهذا الذي فعله - ^ -؛ فقد أعلنها واضحة جلية: أن قضيتهم ليست مرتبطة بلُعاعة الدنيا وحقارتها، وإنما مرتبطة باتباع هديه، ونصرة دينه، وإعلاء كلمة الله؛ فليذهب الناس بالشاة والبعير، فليس هناك مشكلة؛ بل أعظم المصيبة والبلاء أن يذهب المرء ومعه حظوظ الدنيا، وهو خالي الوفاض من دينه، وتمسكه بما أمر ربه، والتزام ما نهى؛ فالتخليط ديدنه، والتلوُّن طريقته، والترخُّص عادته .

## ٤٤- الموعظة وليس الغلظة والفظاظة :

المتأمل لردة فعل النبي - ^ -، وبما خاطب الأنصار في الحظيرة يجد أنه استخدم بذكائه العظيم، وحسن سياسته للأمور، أسلوب الموعظة. لقد عرف - ^ - من هم الأنصار، وما هي نفسياتهم، وفيمَ يفكرون، وكيف يتعاملون؟! عرفهم في البأساء والضراء، عرف فيهم دماثة الأخلاق، والكرم الجم، والحب الكبير له - ^ -؛ فلماذا إذاً يعنِّفهم ويقسو عليهم؟ وهو القائل: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»[١٣٠]. وهو الذي قال عنه المولى- تبارك وتعالى - : **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْـــمُتَوَكِّلِينَ﴾**[١٣١]

وما أحوج قادة العمل الدعوي إلى استخدام هذا الأسلوب الدعوي العظيم إذا اعوجَّ سلوك النخبة من تلامذهم وأتباعهم!

---

١٣٠ ) (رواه مسلم (١٨٢٨) من حديث عائشة)

١٣١ ) [آل عمران: ١٥٩.]

ماذا يضيرهم لو سلكوا هذا المنحى؟ قد يظن بعضهم أنه ربما ينقص من قدره ومكانته، بل العكس إنما هو رفعة له في قلوبهم، وازدياد معدل المحبة فيها .

لقد عاتب - ^ - أنصار دعوته ومحبيه ليدلل على محبته لهم، واهتمامه بحالهم وأوضاعهم، يعيش آلامهم، ويحس بجراحهم لتبقى المودة على الدوام .

أعاتب ذا المودة من صديق *** إذا ما رابني منه اجتنـــابُ

إذا ذهب العتاب فليس ود *** ويبقى الود ما بقي العتابُ

«فما ثَمَّ شيء أحسن من معاتبة الأحباب، ولا ألذ من مخاطبة ذوي الألباب»[١٣٢]

ومن هنا كان لزاماً على من تولى قيادة النفوس أن يتقن فن الوعظ وطرقه؛ لأنه سيحتاج إليه حتماً في مسيرته التربوية والدعوية؛ فالسآمة والملل وتكرار صور الحياة أمور يجب الخوف منها، ومدافعتها عن قلوب الأتباع؛ فها هو ابن مسعود يقول:

---

١٣٢ ) (المستطرف في كل فن مستظرف، ٢٨٤)

«كان النبي - ^ - يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»[١٣٣]

ويحتج بعضهم أن القيادة مشغولة بمهام عدة، وربما ليس عندها وقت لتجلس مع أتباعها، وتُصلح ما فسد بينهم بسبب الشحناء والاختلاف. وهذا غير صحيح ومجانب لواقع النبي - ^ -؛ ألم يكن بمقدور النبي أن يغض الطرف عن ما بدَر من الأنصار ويذهب لمهامه العظام؟ أليس شغل النبي - ^ - في تلك الفترة أعظم من انشغالات قيادات اليوم؟ بلى! ولكن القضية هي لا مبالاة قاتلة بواقع الأتباع، يرتكبها القادة بقصد أو بغير قصد. والنتيجة سيئة للغاية ومعالمها بادية للعيان: وهَنٌ في واقع الأتباع، ضعف للهمم، ركون لمتع الدنيا الزائلة؛ ويأس وقنوط من تغيّر وعدم تغير الأوضاع .

لقد كان - ^ - يتخذ من الوعظ بشتى صوره وأساليبه سلاحاً نافعاً لتلك المعالم آنفة الذكر، حتى استطاع أن يخرج جيلاً يقوم بواجب تبليغ الرسالة للأمم حق القيام، وكذلك كان

١٣٣ ) (البخاري، الفتح ١٠١/١ واللفظ له، ومسلم (٢٦٣٣)

الخلفاء الراشدون والأئمة من بعده. أما اليوم فالأمر بخلاف ذلك، والله أعلم .

## ٤٥- التذكير بالفضائل لأجل المتابعة :

إن من الغُرم الكبير الذي يقع على القائد، والموجه، والمربي من تلامذته، وأتباعه نسيانهم لفضائله وأعماله ومناقبه؛ فكم بذل وضحى وقاسى! وكم سهر وتعب وآسى! وربما مرض لأجل تربيتهم والحفاظ عليهم من الأعداء والمتربصين بهم؛ فكم كان يخطط وينسق وينظم جداول الأعمال والآمال لأجل صنع مستقبل مشرق، وتاريخ مجيد لهم في خدمة أمة الإسلام، ورفع راية التوحيد !

تُنسى الفضائل والأعمال والمناقب، بمجرد أن يصبح الطويلب طالب علم، أو شيخاً، أو عَلَماً دعوياً .

وتُنسى عندما يصبح طالب حلقة التحفيظ حافظاً لكتاب الله وقارئاً للقرآن يحمل الإجازات والقراءات .

وتُنسى أيضاً عندما يخطئ القائد خطأً ما، ويفحش في خطأ ما؛ بأن يصر عليه، ويتعنت فيه لرؤية رآها، واجتهاد وصل إليه

والتلامذة والأتباع يرون خلاف ذلك، وأن قائدهم قد جانب الصواب .

ولوازم هذا النسيان متنوعة؛ فإما أن يوصم القائد بالتشدد أو الحزبية أو ضعف الرؤية، ثم تأتي معاول الهدم لتضرب على جدار تاريخه: ماذا فعل؟ لقد أخر العمل، وميّع القضية، وركن إلى الدنيا وشهواتها الدنية، ثم ينقَّب في أخطائه وزلاته حتى تصبح في نظرهم كالجبال، والنتيجة على أحسن الأحوال مقاطعة لمحاضراته ودروسه، ويبقى السلام والزيارة في الأعياد والمناسبات. أما على أسوئها فهو مبتدع، ضال، منحرف، أشد على الإسلام من اليهود والنصارى، لو استطاعوا أن يقتلوه لقتلوه ورموه في عرض الطريق .

لقد كبرت عقول الصغار حتى نسوا الماضي التليد، وانشغل الكبار حتى نسوا أنهم في عجلة الزمن التي لا تتوقف لمتباطئ، أو غافلٍ، أو بليد .

فمن حق القائد أن يوضح أعماله وفضائله ومناقبه، حتى يكون له الغُنْم وليس عليه الغرم، أو تعتدل كفة الميزان على الأقل .

ولعلنا نتذكر يوم دخلت الأحزاب على عثمان بن عفان - t - وأرادوا قتل أمير المؤمنين، وثالث الخلفاء الراشدين المهديين .

قال لزعمائهم: «أنشدكم الله! أتعلمان أن رسول الله - ^ - لما قَدِمَ المدينة ضاق المسجد بأهله، فقال: «من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين، وله خيرٌ منها في الجنة؟ » فاشتريتها من مالي، فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين، ثم قال: أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله - ^ - لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يستعذب منه إلا بئر رومة، فقال رسول الله - ^ -: «**من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين وله خيرٌ منها في الجنة؟** » فاشتريتها من خالص مالي وأنتم تمنعوني أن أشرب منها. ثم قال: هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم! [١٣٤] .

لم يكن تصرف عثمان - t - يخدش مقام الإخلاص في قلبه، وإنما كان مجرد وسيلة لاستمالة قلوب أولئك الأجلاف الأخلاط

---

١٣٤ )رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح. وانظر البداية والنهاية لابن كثير،( ١٩١/٧)

من الناس، لكنها لم تنفع؛ ولذا فإن استمالة القلوب تكون أحياناً لا فائدة فيها عندما تقابل قلوباً أقسى من الحجارة، ناكرة للجميل، ومتناسية للأيام الخوالي، والزمن الطويل، فلم تترب التربية الإيمانية، ولم تصفُ سريرتها وأعمالها فتصبح نقية روحانية؛ ولذا فقد نفعت مع الأنصار حينما خاطبهم رسول الله - ^ - بخطاب رائع وموجز، لكنه غني: «**ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألَّفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟** »[١٣٥]

ولعلنا نتساءل: هل كان رسول الله - ^ - بحاجة إلى أن يوضح للأنصار ما عمل لهم؟ أو يخبرهم بحالهم، وكيف انتقلوا من حال الضعف إلى حال القوة بمجيئه - ^ - إليهم؟ هل كان بحاجة إلى كل هذا؛ وقد قضى معهم ثماني سنوات، كانت كفيلة بأن ترسخ تلك الحقائق في أذهان الأنصار؟

---

١٣٥ ) ( البخاري، الفتح ٧/ ٤٣٣٠، ومسلم (١٠٦١) من رواية عبد الله بن زيد بن عاصم - t

يجاب عن هذه التساؤلات بأن الإنسان ما سُمّي إنساناً إلا لنسيه، كما روي عن ابن عباس - t - [١٣٦]

وقد قال القائل :

وما سمي الإنسان إلا لنسيهِ *** وما القلبُ إلا أنه يتقلب

فالأنصار بشر يعرض لهم ما يعرض للبشر من النسيان، والسهو والغفلة، وهُمْ من المؤمنين الذين أمر الله نبيهم أن يذكرهم ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾[١٣٧] ؛ فلما ذكَّرهم نفعتهم الذكرى، واعترفوا بصدق ما قال؛ لأنهم يحملون قلوباً أرقّ من النسيم، ما أن تسمع الحق حتى وتباشره بالخشوع والبكاء؛ فليت لنا قلوباً مثل قلوبهم أو حتى نصفها .

أما الجانب الآخر من الاعتراف بالفضل: فهو اعتراف القائد بفضل أهل السبق ومكانتهم، وهذه قضية غفل عنها كثيرٌ من قيادات العمل الدعوي اليوم، فترى أحدهم تمر عليه السنون و لم يظهر ثناؤه لرجاله الذين ساندوه، ووقفوا إلى جانبه في الملمات

---

١٣٦ ) لسان العرب: مادة (أنس)، ٢٣٢/١ .

١٣٧ ) [الذاريات: ٥٥]

والمهمات، وفي المصائب والنكبات؛ ألم يكـــن النبي - ^ - يقول عن أبي بكر: «**لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر**» [١٣٨]

وعن أبي عبيدة: «**أمين هذه الأمة**» [١٣٩]

والزبير: «**إن لكل نبي حوارياً، وحواريِّي الزبير**»[١٤٠]! وها هو يقول للأنصار: «**والله! لو شئتم لقلتم ــ فصدقتم وصدقتم ــ: جئتنا طريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك، وخائفاً فأمَّناك ومخذولاً فنصرناك**»، وقال عنهم في آخر عمره: «**أوصيكم بالأنصار؛ فإنهم كرشي وعيبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم؛ فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»[١٤١].؛ فهل قيادات العمل الدعوي ــ يا ترى ــ قلَّبت صفحات سيرة المصطفى - ^ - وتأملت هذا الجانب؟

---

١٣٨ )البخاري، الفتح ٧ (٣٦٥٤) من حديث أبي سعيد الخدري - t -.

١٣٩ )البخاري، الفتح ١٣ (٧٢٥٥) ومسلم (٢٤١٩) من حديث أنس بن مالك - t -.

١٤٠ ) البخاري، الفتح ٦ (٢٩٩٧) واللفظ له، مسلم (٢٤١٥) من حديث جابر بن عبد الله - t -

١٤١ ) البخاري، الفتح ٧ (٣٧٩٩)، مسلم (٢٥١٠) واللفظ له

إن هذا التصرف من القائد له نتائج جميلة في نفوس النخبة الخُلَّص من الأتباع: فهو يبني بنيان الثقة في نفوسهم، ويكبر هو في عيونهم، ويرون أن كل ما قدموه لم يذهب هباءً منثوراً؛ فهو محفوظ في قلب قائدهم، ومرفوع ـــ إن شاء الله ـــ عند خالقهم وبارئهم. فلا يضرهم إن لم يحصّلوا ذهباً ولا فضة أو ديناراً أو درهماً؛ فكلمات القائد يخطّها الأتباع بماء الذهب؛ فتصبح أوسمة ونياشين تعلق في صدورهم، يتذكرونها في ذهابهم وإيابهم، وقبل منامهم، تشحذ فيهم همة الاستمرار على العمل، وتشعل في نفوسهم حماساً بالغاً لتحقيق الأمل .

فالإنسان مجبول على حب الثناء من الآخرين؛ وذلك لضعفه الفطري، حتى إذا تدرج في سلم الكمال، وارتقى في درجات القرب من الله الكبير المتعال، استوى عنده مدح الصديق المنوال، وذم العدو الحقود الغالِّ .

## ٤٦- لا لإشاعة أخبار المشاكل :

جاء في رواية أبي سعيد الخدري - t - : «فخرج سعد، فصرخ فيهم، فجمعهم في تلك الحظيرة، فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فدخلوا، وجاء آخرون فردهم، حتى لم يبق

من الأنصار أحد إلا اجتمع له أتاه، فقال: يا رسول الله! قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار؛ حيث أمرتني أن أجمعهم، فخرج رسول الله فقام فيهم ...

هذا المقطع من الرواية يبين لنا دلالات مهمة، ينبغي التفطن والاهتمام بها :

منها: أنه إذا حدث إشكال معين في صفوف الأتباع؛ فمن الحكمة ضرورة محاصرة خبره؛ لكيلا يصل خبره بين الأتباع الآخرين الذين ليس لهم علاقة به، ولم يشاركوا فيه؛ إذ إن وصول الخبر إليهم مدعاة لتضييع الأوقات وهدر الأوقات؛ فيتفشى فيهم ما نهى عنه رسول الله - ^ - من القيل والقال، وكثرة السؤال، وربما يعد عاملاً مساعداً في تفريق الجماعة، وبعث النعرات الخامدة في النفوس. ولقائل أن يسأل: ألم يدخل أحد من المهاجرين حظيرة الاجتماع؟ الجواب: نعم! ولكن قد بينت الرواية الأخرى عند الإمام أحمد من حديث أنس قال:

«فجمعهم في قبة له، حتى فاضت فقال: فيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، إلا ابن أختنا. قال: «ابن أخت القوم منهم»[١٤٢].

ومنها: على القائد أن لا يحمّل بقية الأتباع تبعة أخطاء مجموعة معينة من الأفراد؛ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[١٤٣] ، فما ذنب من لم يعلم، ولم يكن مشاركاً، أو مؤيداً أن يتحمل تبعات ونتائج أخطاء الآخرين؟ أليس الجهـــل بالأمر عذراً كافياً لاستثنائهم؟ بلى! ولذا فقد دلت الروايات أن النبي - ^ - قد جمع حياً واحداً من الأنصار، ولم يجمع الأنصار كلهم .

ومنها: أن مشاركة الآخرين مدعاة أيضاً إلى أن تأخذ نفوس المخطئين العزة بالإثم والإصرار على الخطأ، ومحاولة تسويغ أخطائهم؛ بذكر مثالب القائد، سواء كان في نفسه وإدارته، أو حتى في أسرته؛ فيسمع الصغير والكبير بذلك، فتحدث له فتنة جديدة ستكون عوناً على انحرافه وخروجه من دائرة الطيبين .

---

١٤٢ ) (انظر البداية والنهاية لابن كثير، ٧/ ١٩١)

١٤٣ ) [الأنعام: ١٦٤]

ومنها: أن تصرف النبي - ^ - كان غاية في الحكمـــــــــة، وقمـــــــة في الذكاء والحنكة، فلم يجلس مــع أبـــي بكـــــــــر وعمـــر، أو المهاجرين ليحكي لهم ما بدَر من الأنصار، حتى يؤكد صحة مذهبه وطريقته؛ فيقوى بذلك جانبه، ويحقق مآربه، كلاَّ! فهو القائد والمعلم، وأولئك تلاميذ فحسب، والتلميذ مهما بلغ فهو تلميذ يجب أن يحترم قائده وموجهه، ويصبر على تعنيفه وإساءته؛ ففي معارضته حرمان نفســه لخـــيره وفضـــائله وصـــدق القائل :

اصبر على مر الجفا من معلم *** فإن رسوب العلم في نفراته

لقد انفرد - ^ - بهذا الحي من الأنصار لينصحهم ويربيهم على انفراد تام؛ ليؤكد لنا على أهمية النصح للمخصوص دون استماع غيره، سواء كان هذا المخصوص فرداً أو جماعة وصدق الشافعي حين قال :

تعهدْني بنصحك في انفرادٍ *** وجنبني النصيحة في الجماعةْ

فإن النصح بين الناس نــوع *** من التوبيخ لا أرضى استماعهْ

فإن خالفتني وعصيت أمري *** فلا تغضب إذا لم تُعطَ طاعةْ

وقال مسعر بن كدام ــ - رحمه الله - ــ: «رحم الله من أهدى إليّ عيوبي في سر بيني وبينه؛ فإن النصيحة في الملأ تقريع»[١٤٤]

## ٤٧- التعميم لا التعيين :

لقد استخدم - ^ - لفظاً عاماً في مخاطبة الحضور، ولم يعين شخصاً بعينه، أو اثنين أو ثلاثة بأسمائهم مع أنه ــ والله أعلم ــ كان يعلم بالذين تكلموا؛ فالوحي لم يكن ليترك النبي - ^ - دون أن يخبره بمثل ذلك .

والمتأمل لسيرة النبي - ^ - وخطابه عند حلــــول المشـــــكلات، أو حدوث الأخطاء من الصحابة يرى استخدامه لكلمات عامة: «**ما بال أقوام، وما بال رجال**»، وإليك نماذج من ذلك :

«**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله! إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية**»[١٤٥]

---

١٤٤ ) .(الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٢٩٠)

١٤٥ ) (البخاري، الفتح ٧٣٠١/١٣ ومسلم (٢٣٥٦) من حديث عائشة.

**«ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني»**[١٤٦]

**«ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق؟ والله! ما علمت عليهم إلا خيراً. ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، ولا يدخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي»**[١٤٧]

«**يا معشر الأنصار!** » خطاب له مدلولاته ومعانيه وقوة حضوره، وهو نداء يشعل في قلوب السامعين ذكرى اللحظات الحاسمة في بيعة العقبة الثانية، يوم بايعوه على أن يضحوا بكل شيء؛ لأجل حمايته والذود عن دعوته .

إن استخدام القائد لأسلوب التعميم عند حل المشكلات له فوائد مهمة، ونتائج طيبة :

---

١٤٦ ) البخاري، الفتح ٩/٥٠٦٣، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس.

١٤٧ ) هذه قطعة من حديث عائشة قال الألباني ــ - رحمه الله - ــ: «أخرجها ابن هشـام فـي السـيرة ٢/ ٢٢٠، ٢٢٢، وهي عند البخاري (٧/٤٤٧ ــ ٣٥)، ومسلم (٨/ ١١٣ ــ ١١٧) بنحو ما هنا». عن فقه السـيرة، للغزالي، ص ٣١٦ .

منها: أن الخطاب سيكون عاماً وليس معيناً ومحدداً، وهذا سيؤدي إلى جعل الحضور كلهم في محل المسؤولية؛ فغير المذنب سيمقت هذا التصرف، ويعتقد أنه ربما يُقصد بذلك فيربأ بنفسه عنه، وأما المذنب فسيستهجن ما قاله وفعله، فيبدأ بإصلاح نفسه دون التعرض لأمور تجرح قائده وموجهه .

ومنها: أن أسلوب التعميم وعدم ذكر أسماء الأشخاص يحفظ للمذنب كرامته، ويصون عرضه وشخصيته، فلا تجرح، وأعظم الجرح عندما يذكر شخصه، أما إخوانه فيأتي الشيطان ليهمس في أذنه أن هذه إهانة لا يمكن السكوت عليها ولا غض الطرف عنها، وقد يؤدي به آخر المطاف إلى الخروج من دائرة الطيبين ليكون مع الأعداء والمتربصين .

إن ما وقع من الأنصار بعد قسمة غنائم هوازن، وتصرف النبي - ^ - تجاه ما قالوا يعدّ ـــ في نظري ـــ منهجاً ينبغي أن يتخذه القادة، والمربون، والموجهون، يسيرون وفق معطياته عندما تعترضهم المشاكل والخلافات في أوساط أتباعهم، وتلامذتهم. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

## ٤٨- فضيلة الأنصار:

وقد ظهرت في تلك الغزوة فضيلة الأنصار، وأن الرسول - ^ - لم يمنعهم مما أعطاه غيرهم إلا لمزيد حبه لهم، ويكفيهم فخراً أنه - ^ - اعتبرهم منه بمثابة شعاره وجعل غيرهم دثاره، والشعار هو ما يلي الجلد من الثياب والدثار الذي فوقه، قال ابن حجر: "وهي استعارة لطيفة لفرط قربـــهم منه، وأراد أيضاً أنـــهم بطانته وخاصته، وأنـــهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم".[١٤٨]

بل جعل ^ حبهم من الإيمان وبغضهم من علامات النفاق فقال: «**آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار**»[١٤٩]، وقال ^ : «**الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله**»[١٥٠]

---

١٤٨ )فتح الباري: (٥٣/٨)

١٤٩ ) [ أخرجه البخاري (١٧)، (٣٧٨٤) من حديث أنس ١٣]

١٥٠ ) .أخرجه البخاري (٣٧٨٣) ومسلم (٧٥) والترمذي (٣٩٠٠) من حديث البراء بن عازب .

## ٤٩- استخدامه ^ أسلوبا جديدا في القتال:

استعمل النبي ^ في حصاره للطائف أسلحة جديدة لم يسبق له أن استعملها من قبل، وهذه الأسلحة هي:

* **المنجنيق**: فقد ثبت أن الرسول ^ استعمل هذا السلاح عند حصاره لحصن ثقيف بالطائف، فعن مكحول t أن النبي ^ نصب المنجنيق على أهل الطائف(١٥١).

والمنجنيق من أسلحة الحصار الثقيلة ذات التأثير الفعال على من وجهت إليه، فبحجارته تهدم الحصون والأبراج، وبقنابله تحرق الدور والمعسكرات، وهذا النوع يحتاج إلى عدد من الجنود في إدارته واستخدامه عند القتال(١٥٢).

* **الدبابة**: ومن أسلحة الحصار الثقيلة التي استعملها الرسول ^ لأول مرة في حصار الطائف: الدبابة؛ والدبابة على شكل بيت صغير تعمل من الخشب وتتخذ للوقاية من سهام الأعداء،

---

(١٥١) أبو داود، كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد، ح(٣٥) مراسيل أبي داود، ص١٨٣.

(١٥٢) انظر: المدرسة العسكرية الإسلامية، اللواء محمد فرج، ص٤٠٧.

عندما يراد نقض جدار الحصن، بحيث إذا دخلها الجنود كان سقفها حرزًا لهم من الرمي(١٥٣).

* **الحسك الشائك**: من الأسلحة الجديدة التي استعملها الرسول ^ في حصاره لأهل الطائف: الحسك الشائك؛ وهو من وسائل الدفاع الثابتة، ويعمل من خشبتين تسمران على هيئة الصليب، حتى تتألف منهما أربع شعب مدببة، وإذا رمى في الأرض بقيت شعبة منه بارزة تتعثر بها أقدام الخيل والمشاة، فتتعطل حركة السير السريعة المطلوبة في ميدان القتال(١٥٤).

وقد ذكر أصحاب المغازي والسير أن الرسول ^ استعمل هذا السلاح في حصاره لأهل الطائف، حيث أمر جنده بنشر الحسك الشائك حول حصن ثقيف(١٥٥)، وفي هذا إشارة إلى قادة الأمة خصوصًا، والمسلمين عموما، ألا يعطلوا عقولهم وتفكيرهم من

---

(١٥٣) انظر: القيادة في عهد الرسول، ص٤٠٥.

(١٥٤) انظر: الفن الحربي في صدر الإسلام، اللواء عبد الرءوف عون، ص ١٩٥.

(١٥٥) انظر: الطبقات الكبرى (٢/٢١٤).

أجل الاستفادة من النافع والجديد الذي يحقق للأمة مصلحة الدارين، ويدفع عنها شرور أعدائها.

**٥٠- اختيار رسول الله ^ مكاناً مناسباً عند القتال:**

نزل الجيش في مكان مكشوف قريب من الحصن، وما كاد الجند يضعون رحالهم حتى أمطرهم الأعداء بوابل من السهام؛ فأصيب من جراء ذلك ناس كثيرون، وحينئذ عرض الحباب بن المنذر على الرسول ^ فكرة التحول من هذا الموقع إلى مكان آمن من سهام أهل الطائف، فقبل ^ هذه المشورة وكلف الحباب -لكونه من ذوي الخبرات الحربية الواسعة في هذا المجال- بالبحث عن موقع ملائم لنزول الجند، فذهب t ثم حدد المكان المناسب، وعاد فأخبر النبي ^ بذلك، فأمر النبي ^ جيشه بالتحول إلى المكان الجديد، وهذا شاهد عيان يحدثنا عما رأى؛ قال عمرو بن أمية الضمري t : لقد أطلع علينا من نبلهم ساعة نزلنا شيء الله به عليم كأنه رجل جراد، وترسنا لهم حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة، ودعا رسول الله ^ الحباب فقال: «**انظر مكانًا مرتفعًا مستأخرًا عن القوم**» فخرج الحباب حتى

انتهى إلى موضع مسجد الطائف(١٥٦) خارج من القرية، فجاء إلى النبي ^ فأخبره، فأمر النبي ^ أن يتحولوا(١٥٧).

## ٥١- استخدام الحرب النفسية والدعاية:

لما اشتدت مقاومة أهل الطائف وقتلوا مجموعة من المسلمين أمر النبي ^ بتحريق بساتين العنب والنخل في ضواحي الطائف للضغط على ثقيف، ثم أوقف هذا العمل بعد أثره في معنوياهم وإضعافه روح المقاومة، وبعد أن ناشدته ثقيف بالله والرحم أن يترك هذا العمل، ووجه النبي ^ نداء لعبيد الطائف أن من يترل من الحصن ويخرج إلى المسلمين فهو حر، فخرج ثلاثة وعشرون من العبيد منهم أبو بكرة الثقفي فأسلموا، فأعتقهم و لم يعدهم إلى ثقيف بعد إسلامهم(١٥٨).

## ٥٢- مناداة الناس بمناقبهم شرف لهم:

---

(١٥٦) مسجد الطائف: هو المسجد المعروف الآن بمسجد ابن عباس.

(١٥٧) انظر: مغازي الواقدي (٤١٦/١).

(٣) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٥١٠/٢).

يقول أهل السير: إذا خطبت قوما فاذكر مناقبهم ومحامدهم، وذكرهم بأيام الله، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: « **يا بني عبد الله -قبيلة من قبائل العرب- إن الله أحسن اسم أبيكم فأحسنوا سيرتكم** »

فالرسول عليه الصلاة والسلام أمر العباس أن يقول: يا معشر الأنصار، ثم قال: **يا أصحاب الشجرة**، يناديهم بذاك اليوم المشهود، يا من أنزلت عليهم سورة البقرة، يناديهم بهذه المنقبة، فللمسلم أن يتحف إخوانه والقوم الذين يدعوهم بمناقبهم ومآثرهم ليكون أشد إقبالا لهم، وهذا من ذكر المناقب في مجال الدعوة إلى الله عز وجل.

### ٥٣- في أمور الحرب وسياسة القتال :

إنَّ على القائد أن لا يألو جهداً في معرفة قدرات العدو وخططه، وإمكاناته عن طريق بعث العيون ومن يستطلع له أخبار الأعداء، كما فعل رسول الله - ^ - لما بعث ابن أبي حدرد ليأتيه بخبر هوازن، قال الإمام ابن القيم عند حديث عن

غزوة حنين: "وفيها من الفقه أن الإمام ينبغي عليه أن يبعث العيون، ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم". [١٥٩]

والحق أن الرسول - ^ - كان يسعى في كل غزواته لجمع أكبر قدر من المعلومات عن العدو قبل الاشتباك معه في القتال، كما فعل في هذه الغزوة، وكما في بعثه حذيفة بن اليمان يوم الخندق ليأتيه بخبر المشركين. [١٦٠]، وكذلك استجوب ^ يوم بدر غلاماً لعقبة بن أبي معيط كان المسلمون قد أمسكوا به قبل غزوة بدر، وكان مما سأله عنه عدد ما ينحرون من الجزر، فلما أخبره أنــهم يذبحون في كل يوم عشراً، قال: "القوم ألف، كل جزور لمئة وتبعها."[١٦١]

وفي هذه الغزوة أيضاً أن الإمام كما يقول ابن القيم: "إذا سمع بقصد عدوه له وفي جيشه قوة ومنعة، لا يقعد ينتظرهم بل

---

١٥٩ ) زاد المعاد: (٤٧٩/٣)

١٦٠ ) [أخرجه مسلم (١٧٨٨) من حديث حذيفة .١٦]

١٦١ ) .[أخرجه أحمد: (١١٧/١) من حديث علي بن أبي طالب، وسنده صحيح كما في تعليق الألباني علـى فقه السيرة ص: (٢٣٧)

يسير إليهم، كما سار رسول الله - ^ - إلى هوازن حتى لقيهم بحنين"[١٦٢]

وفي هذا بيان أهمية الأخذ بزمام المبادرة، وأن أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم كما يقول المعاصرون، وقد رأينا في حرب عام ١٩٦٧، أن من أسباب هزيمة العرب التزام قادتهم بأن لا يكونوا البادئين بالقتال، مع علمهم بأن اليهود سيهاجمونهم.

## ٥٤- ضرب الأمثال:

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يضرب الأمثال للناس ومثاله قوله ^ : « **الآن حمي الوطيس** » وهو أول من تمثل به كما قال أهل السير، وكان عليه الصلاة والسلام يضرب الأمثال للناس كما ذكر سبحانه وتعالى أمثالا في القرآن يضربها في العقيدة والعبادة والسلوك.

{ جاء رجل أعرابي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فقال: أعطني من مال الله الذي عندك لا من مال أبيك ولا من مال

١٦٢ ) .(زاد المعاد: (٣/٤٧٩)

أمك، فقام الصحابة عليه، فأسكتهم ^ ثم أعطاه، فلما انتهى من إعطائه، قال: **هل أحسنت إليك؟** قال: نعم أحسنت وأجملت جزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فذهب أمام الصحابة، فقال: هل أحسنت إليك؟ قال: لا، فأرادوا أن يهموا به فعاد ^ فزاده فدعا له الأعرابي، فقال: أخبر أصحابي بهذا ليزول ما في نفوسهم، فقال هذا أمامهم.

فقال عليه الصلاة والسلام: **أتدرون ما مثلي ومثلكم ومثل هذا الإعرابي؟**

قالوا: لا، قال: مثلنا كرجل كانت عنده دابة فرت منه فأخذ الناس يلاحقونها فما زادوها إلا فرارا.

فقال: « **يا أيها الناس دعوني ودابتي، فأخذ شيئا من خشاش الأرض -أي: من خضرة الأرض- فلوح لها به فأقبلت إليه حتى قادها، فلو تركتكم وهذا الإعرابي لفر ثم ارتد ثم دخل النار** ».

**٥٥- لله حكم:**

اقتضت حكمته - سبحانه - أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكسرة، مع كثرة عددهم وعُددهم وقوة شوكتهم، ليطامن رؤوساً رفعت بالفتح، و لم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله واضعاً رأسه منحنياً على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد تمس سرجه تواضعاً لربه وخضوعاً لعظمته واستكانة لعزته، أن أحل له حرمه وبلده و لم يحل لأحد قبله، ولا لأحد بعده... فلما انكسرت قلوبـــهم أُرسِلت إليها خِلعُ الجبر، مع بريد النصر، فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وقد اقتضت حكمته أن خِلع النصر وجوائزه إنما تفيض على أهل الانكسار ﴿**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون**﴾...

## ٥٦- عدم جواز قتل النساء والصبيان وغيرهم من الضعفاء:

فقد مر أن رسول الله ^ ، لما رأى امرأة مقتولة استنكر ذلك، وقال: ما كانت هذه لتقاتل ثم بعث من يطلب من خالد

بن الوليد أن لا يقتل امرأة ولا عسيفاً، والعسيف: الأجير، وهذا مما يبين عظمة هذا الدين وسمو تشريعاته في أمور الحروب وغيرها، وأن مشروعية القتال في الإسلام، إنما جاءت لغايات سامية، غير ما تعارف عليه الناس في حروبهم القديمة والحديثة، فلما كان الأصل في النساء الضعف، وأنهن لسن من أهل القتال، فقد نهى ^ عن قتلهن، وفي الحديث بيان أن عدم كون المرأة من أهل القتال هو علة النهي عن قتلها؛ لأنه - ^ - وصف المرأة بأنها ليست من أهل القتال ثم رتب على ذلك النهي عن قتل النساء، "وترتيب الحكم على الوصف يدل على عِلِّيَة ذلك الوصف وعدم علية غيره"[١٦٣]

ومعنى ذلك أنها إذا شاركت في القتال قوتلت وقُتلت، سواء كانت مشاركتها حقيقةً بالقتال الفعلي، أو حكماً كتحريضها قومها على القتال، أو مشاركتهم الرأي، ونحو ذلك .

---

١٦٣ ) الذخيرة للقرافي: (٣٨٧/٣)

قال الخطابي: "فيه دليل على أن المرأة إذا قاتلت قتلت؛ ألا ترى أنه جعل العلة في تحريم قتلها أنـــها لا تقاتل، فإذا قاتلت دل على جواز قتلها"[١٦٤]

وفي قتل دريد بن الصمة، وعدم إنكار النبي - ^ - ذلك دليل على جواز قتل شيوخ المشركين، إذا كان فيهم منفعة للكفار كرأي أو مشورة ونحوه، فإن دريد ابن الصمة كان حين قتل ابن عشرين ومئة سنة، وقيل ابن ستين ومئة سنة.[١٦٥]

وقد جاء في الحديث أن رسول الله - ^ - كان إذا بعث جيشاً قال«**انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً صغيراً. ..** »[١٦٦]

لكن جاء في حديث سمرة بن جندب مرفوعاً: **"اقتلوا شيوخ المشركين واستبقوا شرخهم"**[١٦٧]

---

١٦٤ ) المصدر السابق

١٦٥ ) [فتح الباري: (٤٢/٨) ]

١٦٦ ) [أخرجه أبو داود (٢٦١٤) من حديث أنس.

وفي كلا الحديثين كلام، غير أنـــهما إن صحا فيمكن الجمع بينهما كما قال الشوكاني: "بأن الشيخ المنهي عن قتله في الحديث الأول هو الفاني الذي لم يبق فيه نفع للكفار، ولا مضرة على المسلمين، وقد وقع التصريح بـــهذا الوصف بقوله شيخاً فانياً، والشيخ المأمور بقتله في الحديث الثاني هو ما بقي فيه نفع للكفار ولو بالرأي كما في دريد بن الصِّمة" [١٦٨]

## ٥٧- الإلحاح في الدعاء وقت الأزمات:

يقول جل ذكره: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** ﴾[١٦٩] قال ابن القيم : "سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله لماذا ذكر الله الدعاء والذكر وقت الأزمات ووقت التحام الصفوف؟

قال ابن تيمية : من عادات العرب والناس ذكر محبوبيهم وقت الأزمات؛ فأراد الله أن يخبرهم أن أحب محبوب عندهم هو الله،

---

١٦٧ ) أخرجه أبو داود (٢٦٧٠) والترمذي (١٥٣٨)

١٦٨ ) نيل الأوطار: (٢٦٢/٧)

١٦٩ ) [الأنفال:٤٥]

فليذكروه في تلك الأزمة أو الضائقة، ثم قال ابن تيمية أما سمعت قول عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي

فذكرها في تلك اللحظة، فالمؤمنون ذكرهم الله أن يذكروه وقت الأزمات، وأحسن الدعاء ما سر صاحبه إليه، وهو وقت الضائقة التي تحل به لأنه يخلص في الدعاء ويلتجئ إلى الحي القيوم، فالرسول عليه الصلاة والسلام لما رأى الكتائب قال: « **اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك الذي وعدتني** ».

## ٥٨- جواز العارية :

وهي إباحة الانتفاع بعين من أعيان المال، وقد وقع الإجماع على جوازها، بل على استحبابها بين المسلمين، ويجب رد العارية إن كانت باقية بلا خلاف، أما إذا تلفت فهل يجب على المستعير ضمان قيمتها وإن لم يتعد؟ وقع الخلاف في ذلك فذهب أحمد والشافعي إلى وجوب الضمان سواء تعدى المستعير أم لا، وذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنها أمانة لا يجب

ضمانـــها إلا بالتعدي فإن ثبت إهمال من المستعير ضُمن، وإلا فلا شيء عليه.[١٧٠]

ومأخذ المسألة أن قوله - ^ - لصفوان: **"بل عارية مضمونة"**، هل قصد به أنـــها مضمونة بالرد أي أنه ضامن ردها إلا إذا تلفت عن غير تقصير منه، أو قصد به أنـــها مضمونة بالتلف أي أنه ضامن إياها وإن تلفت بتقصير أو بغير تقصير؟، والنص يحتمل الأمرين، وقد رجح ابن القيم أنه أظهر في ضمان الرد أي كقول أبي حنيفة ومالك.[١٧١]

## ٥٩- مشروعية الدعاء للكافرين بالهداية:

وقد استُدل لذلك بما في سيرة ابن هشام أنه قد قال رجل للرسول - ^ - يوم ظعن عن ثقيف: يا رسول الله ادع عليهم، فقال: «**اللهم اهد ثقيفاً، وائت بـــهم**» [١٧٢]

---

١٧٠ ) انظر المغني لابن قدامة (٥/٣٥٤)

١٧١ ) (راجع زاد المعاد: (٣/٤٨٢)

١٧٢ ) الحديث في سيرة ابن هشام (٣/١٣٠) بدون إسناد، وأخرجه أحمد (٣/٣٤٣) والترمذي (٣٩٤٢) مـــن حديث جابر بن عبد الله.

غير أن في ثبوت هذا الحديث نظراً، وقد حكم الشيخ الألباني بضعفه لأنه من رواية أبي الزبير عن جابر، والزبير مدلس وقد عنعنه، وقد تابعه عبد الرحمن بن سابط كما في رواية أحمد، ولكنه لم يسمع من جابر، كما قال يحيى بن معين.[١٧٣]

لكن مشروعية الدعاء للمشركين بالهداية والصلاح ثابتة بالسنة الصحيحة؛ فقد صح أنه لما قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي - ^ - ، قالوا: يا رسول الله إن دوساً عصت وأبت، فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس، فقال: «**اللهم اهد دوساً وائت بـــهم**»[١٧٤]

والذي ينبغي التنبيه عليه أنه مع جواز الدعاء للمشركين يجوز الدعاء عليهم أيضاً، بحسب الحال وما يقتضيه المقام، وقد صح أنه - ^ - قد دعا يوم الخندق على المشركين فقال: «**ملأ الله**

---

١٧٣ ) ( انظر تعليق الألباني على فقه السيرة للغزالي (ص: ٤٣٢)، وانظر أيضاً كتابه دفـــاع عــن الحـــديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي (ص: ٧)

١٧٤ ) [أخرجه البخاري (٢٩٣٧) ومسلم (٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة]

**بيوتـــهم وقلوبـــهم ناراً؛ شغلونا عن الصلاة الوسطى، حتى غابت الشمس»** [١٧٥]، وفي الصحيح أيضاً: «**اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم سنين كسني يوسف**». [١٧٦]

## ٦٠-استشهاد أبي عامر الأشعري:

استشهاد أبي عامر الأشعري في أوطاس فإنه حضر المعركة t وأرضاه وضربه مشرك في ركبته بعد أن قتل تسعة من أبطال المشركين، ووقف له العاشر فضربه في ركبته فخرج منها الماء فمات، فقال لابن أخيه أبي موسى : اذهب إلى رسول ^ وبلغه مني السلام وقل له: يدعو لي.

قال أبو موسى : فأتيت إلى رسول الله ^ فوجدته في غرفة ضيقة قد أثر الحصير في جنبه، فقلت: يا رسول الله! قتل عمي أبو عامر الأشعري وهو يبلغك السلام ويقول: ادع له.

---

١٧٥ ) أخرجه البخاري (٢٩٣١) ومسلم (٦٢٧) من حديث علي.)

١٧٦ ) ( أخرجه البخاري (٢٩٣٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً).

فقام عليه الصلاة والسلام إلى ماء فتوضأ ثم استقبل القبلة، فقال: «**اللهم اغفر لعبدك أبي عامر ما تقدم من ذنبه وما تأخر، اللهم اجعله من ساكني الجنة، وارفعه على كثير ممن خلقت وفضله عليهم تفضيلا**»، قال أبو موسى : فلما سمعت هذا الدعاء وقفت بجانبه ^ فقلت: وأنا يا رسول الله، لأنها فرصة لا تتعوض.

فقال ^ وهو يتبسم رافعا يديه إلى القبلة: « **واغفر لـــ أبي موسى وأكرم نزله ووسع مدخله**».

فكان الرسول والمرسل ظافرين بدعاء الرسول عليه الصلاة والسلام.

## ٦١- جواز عقر مركوب العدو إذا كان عونا على قتله :

وفي الغزوة جواز عقر فرس العدو ومركوبه إذا كان ذلك عونا على قتله كما عقر علي - t - جمل حامل راية الكفار وليس هذا من تعذيب الحيوان المنهي عنه .

## فوائد تربوية:

٦٢- من الفوائد التربوية التي نتعلمها من غزوة حنين، ويحتاج العاملون لدين الله إلى تدبرها والوقوف عنده طويلاً: قضية الاهتمام بالبناء العقدي والتربوي لمن يُهيئون كي يكونوا جنداً لهذا الدين، وأنه لا يصح الاهتمام بالكم على حساب الكيف، وأن الذين تنصر بـــهم الدعوات هم الصفوة العارفون بما ينبغي عليهم فعله، وأن الكثرة "تكون أحياناً سبباً في الهزيمة لأن بعض الداخلين فيها التائهين في غمارها.. تتزلزل أقدامهم وترتجف في ساعة الشدة فيشيعون الاضطراب والهزيمة في الصفوف، فوق ما تخدع الكثرة أصحابـــها فتجعلهم يتهاونون في توثيق صلتهم بالله.. لقد قامت كل عقيدة بالصفوة المختارة لا بالزبد الذي يذهب جفاء ولا بالهشيم الذي تذروه الرياح [١٧٧]

٦٣- في إجزاله - ^ - العطاء للمؤلفة قلوبـــهم من غنائم حنين، وعدم إعطائه الأنصار، بيان ما كان عليه النبي - ^ - من الحكمة والقدرة على معاملة كل فرد بما يصلحه، وهو ما

---

١٧٧ ) في ظلال القرآن: (١٦١٨/٣)

يعرف عند التربويين المعاصرين بمراعاة الفروق الفردية، فلئن كان نصيب الأنصار أن يرجعوا إلى ديارهم برسول الله - ^ - فإن ذلك كان نعمة من نعم الله عليهم، بينما أرضى - ^ - من لم يعرف قدر هذه النعمة بالشاة والبعير، كما يعطى الصغير ما يناسب عقله ومعرفته، ويعطي العاقل اللبيب ما يناسبه؛ وقد كان ذلك من منهجه في تغيير النفوس واستمالتها إلى الحق، فإنه كان يعلم أن من الناس ناساً لا يحملهم على الإيمان إلا أن يشعروا بأنـــهم يحققون من ورائه بعض المغانم، فكان يعطيهم تأليفاً لقلوبـــهم على الإيمان، وهذا ما حدث بالفعل فلقد كان الرجل - كما قال أنس بن مالك - "ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها"[١٧٨]

١٧٨ ) .([أخرجه مسلم (٢٣١٢)، هذا وقد وهم الدكتور مهدي رزق الله في كتابه السيرة النبوية فـــي ضـــوء المصادر الأصلية ص: ٥٩٨، فنسب هذا القول للإمام مالك - رحمه الله-.

وقال صفوان بن أمية: "والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني، وإنـــه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ "[١٧٩]

وإن هذه السياسة النبوية الحكيمة قد أثمرت ثمارها الطيبة؛ فإنه لم يمض إلا وقت يسير حتى "رغب غالبية هؤلاء المؤلفة قلوبـــهم في الإسلام وحسن إسلامهم وانخرطوا في الجهاد إلا القليل جداً منهم"[١٨٠]

٦٤- ومن المعاني التربوية التي أراد النبي - ^ - أن يرسخها في أذهان أصحابه وفي أذهاننا من بعدهم، أن المال كله لله يضعه حيث يشاء، وأنه ليس معنى أن يحرز المسلمون غنيمة أنه لا يجوز للرسول - ^ - أن يتصرف فيها بحسب ما يوحي إليه ربه، قال الإمام ابن القيم: "ولله - سبحانه - أن يقسم الغنائم كما يحب، وله أن يمنعها الغانمين جملة كما منعهم غنائم مكة، وقد أوجفوا عليها بخيلهم وركابـــهم، وله أن يسلط عليها ناراً من

١٧٩ ) أخرجه مسلم (٢٣١٣) والترمذي (٦٦٦)

١٨٠ ) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص: ٥٩٨)

السماء تأكلها، وهو في ذلك كله أعدل العادلين وأحكم الحاكمين... وليس هو - سبحانه - تحت حجر أحد من خلقه"[١٨١]

بل ذكر الإمام ابن القيم أن ذلك ليس خاصاً بالنبي - ^ - ، وأنه إذا اقتضت مصلحة المسلمين أن يدفع الإمام الغنائم أو بعضها إلى قوم من الكافرين ليتألفهم، فلا بأس بذلك "فإنه وإن كان في الحرمان مفسدة، فالمفسدة المتوقعة من فوات تأليف هذا العدو أعظم، ومبنى الشريعة على دفع أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما، وتحصيل أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما" [١٨٢]

والى هنا أكتفي وأسأل الله عز وجل بمنه وكرمه أن ينفعنا بما نقول ونسمع ونكتب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

---

١٨١ ) زاد المعاد: (٤٨٥/٣)

١٨٢ المصدر السابق: (٤٨٦/٣)

**أمير بن محمد المدري**
**اليمن – عمران**
Almadari_1@hotmail.com

## المراجع :

١-التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة، الإسكندرية.
٢- السيرة النبوية دروس وعبر، د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٣- السيرة النبوية، لأبي محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر.
٤- السيرة النبوية عرض حقائق وتحليل أحداث ،د.على محمد الصلابي الطبعة الأولى.
٥- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، الطبعة الأولى

١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة.

٦-السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصيلة:الدكتور مهدي رزق الله أحمد ط١-١٤١٢ه مكتبة الملك فيصل.

٧- السيرة النبوية مواقف وعبر :الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي ط٢ دار الدعوة .

٨-القيادة العسكرية في عهد الرسول r ، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٩- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.

١٠- سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١١- صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، تأليف: د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٦م.

١٢- صحيح السيرة النبوية، إبراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ -١٩٩٨م.

١٣- صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة

الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

١٤- على خطى الحبيب :عمرو خالد

١٥- فقه السيرة النبوية :الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ط١١ ١٩٩١م

١٦- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.

١٧- فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث مكة المكرمة.

١٨- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام النووي المتوفى ٦٧٦هـ - طبع المطبعة المصرية ومكتبتها – القاهرة عام ١٣٤٧هـ.

١٩- الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية لأحمد الصويان طبعة دار الوطن.

٢٠-زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله ابن القيم حققه: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، دار الرسالة.

٢١- المغازي للواقدي، محمد عمر بن واقد المتوفي ٢٠٧هـ، تحقيق

د. مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٢٢-المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مكتبة المنار، الأردن الطبعة الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٢٣- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ- ١٩٢٩م.

٢٤- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٥-صحيح البخاري، محمد إسماعيل البخاري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٦- نيل الأوطار، شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، القاهرة.

(هـ)

٢٧-الذخيرة للقرافي

٢٨- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٩- المسند، أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.

٣٠- طبقات ابن سعد الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار صادر،

ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

٣١- المدرسة النبوية العسكرية لأبي فارس، دار الفرقان، عمان.

٣٢- القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-

٣٣- الفن الحربي في صدر الإسلام، اللواء عبد الرءوف عون.

٣٤-سنن أبي داود: الإمام أبو داود السجستاني، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، ١٣٩١هـ، سوريا.

٣٥- الآداب الشرعية، لابن مفلح.

٣٦- البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير الدمشقي. دار الريان للتراث.

٣٧- المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي.

٣٨- مجلة البيان العدد ٢١١لعام ١٤٢٦ه.

٣٩- حياة محمد لمحمد حسين هيكل

٤٠- تفسير ابن كثير، ابن كثير القرشي، دار الفكر ودار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية.

٤١- تيسير العزيز الحميد –سليمان آل الشيخ .

# فهرس المحتويات